السنة الثانية عشرة العدد ٣ اذار سنة ١٩٠٩

المشرق

ديوان السموءل

عني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

بين الآثار التي توفّق حضرة الهمام الاب انستاس الكرملي فحصل عليها آخرًا في دمشق مجموع نفيس قديم الخطّ يرتقي تاريخ كتابتهِ الى السنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م) طولهُ ٢١ سنتمترًا في عرض ١٦ س كان يتألّف في الاصل من ١٥٠ صحيفة او ٣٠٠ صفحة وفي كل صفحة ١٥ سطرًا بخطّ نسخيّ غايةٍ في الاتقان والجلاء. اما محتوياتهُ فكانت ادبيَّة ولغويَّة على هذا الترتيب: ١ً كتاب الهمز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري. ٢ً كتاب تحقيق الهمز لهُ (فُقِد معظمهُ). ٣ً كتاب فضائل الكلاب رواية ابي القسم عليّ بن المحسّن التنوخيّ. ٤ً كتاب تفضيل الاتراك على سائر الاجيال. ٥ً ديوان المُزَرّد رواية ابن السكّيت. ٦ً ديوان السموءل بن عادياء. وكأن الورّاق بائع هذا الكتاب وجد في تقسيمهِ افادةً ماليَّة فافرد كلّ قسم وجلّده على حدةٍ ليزيد بهِ ربحهُ. والدليل على انهُ كان مجموعًا واحدًا خطُّهُ المتشابه وورقهُ وقطعهُ ورقوم صفحاتهِ المتابعة ثم اجازة بخطّ الحسن بن محمَّد الشهير بالصغَّاني في آخر كل قسم من اقسامهِ. واليوم قد اخترنا من هذا المجموع ديوان السموءل لتزيّن بهِ صفحات المجلة لعلمنا بارتياح الأُدباء الى هذا الاثر الجليل الذي كان يظنُّهُ المستشرقون مفقودًا. على انَّ الحاج خليفة كان وقف على نسخةٍ منهُ فذكرهُ في كشف الظنونَ (ed. Flügel, III, 282) وهذا الديوان صغير الحجم صفحاتهُ ٣٨ بحرف مشرق وابياتهُ بحرف أشرق واغلظ وها نحن ندوّن موادّه في هذا العدد تامًا. وقد عارضهُ على الاصل اللغويّ الصغَّاني كما سبق

اما السموءل فلا نعرف من ترجمته سوى النزر القليل فاسمهُ السَّمَوْءَل يُشعر باصل عبراني كصَمُويل وقد جاء ايضًا في العربيَّة في صورة سَمْويل كجبْريل . وللسموءل في العربيَّة معاني مختلفة فهو طائر يكنَّى ابا براء وهو ايضًا الظِلّ وذباب الخلّ والسريع قالهُ في التاج (٧ : ٣٨٢) . وقد دُعي به غير شاعرنا وبه عُرف فخذ من كعب بن عمرو مزيقيا. وقد اختلفوا في نسبهِ فقالوا (الاغاني ١٩ : ٩٨) : انهُ السموءل بن عادياء كما في رواية كتابنا . وقالوا بل ابن غريض بن عادياء (الاغاني ١٩ : ١٠٠) . وفي امثال الميداني (٢ : ٢٧٦) : انهُ السموءل بن حيَّان بن عادياء . وفي التاج (٧ : ٣٨٢) : السموءل بن اوفى بن عادياء . واختلفوا في نسب عادياء فقالوا : عادياء بن حباء . وقالوا : عادياء بن رفاعة بن جفنة ورفَّوهُ الى ملوك الحيرة الى عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء (الاغاني ١٩ : ٩٨) . وروى في معاهد التنصيص (١ : ١٣١) : انهُ من ولد الكاهن بن (كذا) هرون بن عمران . وقالوا عن قبيلته انهُ كان غسَّانيًّا . ويقول غيرهم بل كانت أُمُّهُ من غسَّان . واما دينهُ فقالوا انهُ كان يهوديًّا . وقد بيَّنَّا في المشرق (٩ : ٦٧٤—٦٧٥) انَّ في الامر نظرًا اوَّلًا لان السموءل يُنسب الى غسَّان وغسَّان كما اثبتنا (المشرق ١٠ : ٥١٩ و ٥٥٤) كانت تدين بالنصرانية . ثم جاء في رواية قصيدته اللامية التي أُرسلت الينا من الموصل (المشرق ٩ : ٦٧٥) ذكر السيّد المسيح فقال :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا　　فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

فكفى بهذا القول اذا صحَّ دليلًا على تديُّنهِ بالنصرانيَّة . وفي ديواننا هذا يدعوهُ يهوديًّا وليس قولهُ مقنعًا ولاسيما ان الراوي ذكر لهُ بيتًا ورد فيه ذكر بعض الحواريين فقال :

وسليمٰن والحواريّ يحيى　　ومَتّى يوسف كأنّي وَليتُ

فقولهُ « الحواريّ يحيى » ثم ذكرهُ « مَتى » يدلَّان على تلميذين من تلامذة المسيح يريد الانجيليين يوحنا ومتَّى . والمحتمل انَّ يوسف هو يوسف المذكور في انجيل متى (١٣ : ٥٥) كاحد اخوة الربّ فكلّ ذلك يزيدنا ارتيابًا في يهوديَّته ويقينًا في نصرانيَّته . وليس قول الشارح على هذا البيت سديدًا اذ استنتج من قوله « والحواريّ يحيى » ان السموءل كان يهوديًّا وكان الاحقّ به ان يقول ان في هذا اشارة الى نصرانيَّته اذ ليس ليهودي ان يذكر في شعره احد الحواريين اي تلامذة السيّد المسيح . ولعلَّ

فصل الخطاب في هذا ان يقال انّ السموءل كان من احدى تلك الشيع الجامعة بين عادات اليهود وعقائد النصرانيّة (sectes judéo - chrétiennes) التي عبرت الاردنّ وقت حصار الروم لأورشليم فسكنت في بلاد العرب وكانت لغتها الارامية الفلسطينيّة ثمّ اختلطت بالعرب وغلبت عليها لُغتهم · والله اعلم

وان تخطّينا الى اخبار السموءل فجمعنا كلّ ما يُروى عنهُ في كتب الادباء لم نجد من احوالهِ غير ما يأتي : انهُ كان من يثرب (اغاني ٦ : ٨٤) وكان صاحب تيماء التي عُرفت لاجل ذلك بتيماء اليهودي (معجم البلدان لياقوت ١ : ٩٠٧) وكان يشرف على تيماء حصنهُ الابلق ويسمَّى الابلق الفرد · قال القزويني في آثار البلاد (ص ٤٨) سُمّي بذلك « لانهُ كان في بنائهِ بياض وحمرة وهو بين الحجاز والشام » · وقد زعم الاعشى انّ الابلق من بناء سليمان بن داود حيث قال (ياقوت ١ : ٦٦) :

ولا عاديا لم يمنع الموتَ مالُهُ ... وورْدٌ بتيماء اليهوديِّ أبلَقُ
بناهُ سليمانُ بن داؤود حقبةً ... لهُ أزَجٌ عالٍ وطيٌّ مُوثَّقُ
يوازي كُبَيْداتِ السماء ودونهُ ... بلاطٌ ودارات وكلسٌ وخندقُ
لهُ دَرمكٌ في رأسهِ ومشاربٌ ... ومسكٌ وريحانٌ وراحٌ مُصفَّقُ
وحورٌ كأمثال الدُّمى ومناصفٌ ... وقِدْرٌ وطبَّاخٌ وصاعٌ وديسَقُ
فذاك ولم يعجز من الموت ربُّهُ ... ولكن اتاهُ الموت ولا يتأبَّقُ

وكانت العرب تنزلُ بالسموءل فيضيفها وتمتار في حصنهِ وتقيم هناك سوقًا (معاهد التنصيص ١ : ١٣١) · واليهِ التجأ امرؤ القيس فأودعهُ دروعهُ واسلحتهُ قبل ان يرحل الى القيصر في قصّة شهيرة رواها في اوّل ديواننا وعلّمت عند العرب المثل السائر : « اوفى من السموءل » (راجع الاغاني ٦ : ٨٧ و ٨ : ٨٢ و ١٩ : ٩٩ ثمّ امثال الميداني ٢ : ٢٧٦)

ويُؤخذ من هذه الروايات كلّها انّ السموءل عاش في القسم الثاني من القرن السادس · ولم تُعرف سنة وفاتهِ · وكان للسموءل ابن اسمهُ الشُّريح واياهُ مدح الاعشى بابياتهِ الرائيَّة المذكورة في مقدّمة الديوان · وجاء في البيت الاخير منهُ ذكر ولدين آخرين حَوط ومنذر لا نعرف من امرهما شيئًا والظاهر انّ حوطًا هو قتيل الحارث بن ابي شمِر · ويُعرف لهُ اخ اسمهُ سُعيه ويروى شُعبه وسمّاهُ في معاهد التنصيص « سعيدًا » · ولعلّ كلّ ذلك تصحيف والاصحّ كما روي في الاصمعيّات (ص ٢٠) شُعْبة

اما الديوان الذي نُعنى اليوم بنشرهِ فجامعهُ ابو عبد الله نفطويه واسمهُ ابراهيم بن

محمد كان احد مشاهير الرواة اخذ عن ثعلب والمبرّد كان مولدهُ سنة ٢٤٤ ووفاتهُ سنة ٣٢٣ (٨٥٨–٩٣٥ م) وقد ذكرهُ صاحب الفهرست (ص ٨١–٨٢) واورد اسماء تآليفهِ. وكذلك السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ص ١٨٧) ولم يذكر كلاهما روايتهُ لشعر السموءل

☆ (1) شعر السَّمَوْءَل بن عَادِياء

صنعةُ ابي عبد الله نِفْطَوَيه

(2) بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوّة الّا بهِ

قال ابو عبد الله محمّد بن عرفة الازدي: كان السموءل بن عادياء الغساني يهوديًا وكان عظيم الخطر في قومهِ وضربت بهِ العرب المثل فقالوا: اوفى من السموءل. قال دِعْبل بن عليّ الخزاعي:

وما مثلُ السموءلِ في نزارٍ ألا هيهاتَ قد قطعَ القرينا

وكان من وفائهِ انّ امرء القيس بن حُجر لمّا خرج الى قيصر يستنجدهُ على بني أسد بن خُزَيمة اودعهُ مائة درعٍ. فلمّا هلك امرؤ القيس بلغ الحرث بن ابي شمِر الغسّانيّ خبر الدروع فأتى السموءل في جيش فتحصّن منهُ السموءل واخذ الحرث ابنًا لهُ وقد رجع من الصيد فقال لهُ: اني قد اسرتُ ابنك فادفع اليَّ الدروع والّا ضربتُ عنقهُ. فأبى السموءل ان يدفع اليهِ الدروع فقرّب الحرث الغلام فضرب عنقهُ. فقال في ذلك السموءل:

وفيتُ بأدرُعِ الكنديّ إنّي اذا ما ذمَّ اقوامٌ وفيتُ
بنى لي عاديا حصنًا حصينًا وماءً كلّما شئتُ استقيتُ
وقالوا انهُ كنزٌ رغيبٌ فلا واللهِ أغدر ما مشيتُ

☆ هذه الاعداد تدلُّ على صفحات الكتاب وكانت صحائفهُ في المجموع من ١٤٠ الى ١٥٩

(3) وقال في ذلك اعشى بني ثَعلبة وكان الاعشى هجا رجلًا من كلب فقال:

بنو الشُّهْرِ الحرام فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رهطِ حيَّان (* بن قُرْطٍ ... ولا من رَهْط حسَّانَ بنِ زَيْدِ

فقال الكلبيّ: وما عليَّ من ذلك انا اشرف من هؤلاء. ثم سار شعر الاعشى هذا في الناس حتى سبُّوا بهِ الكلبيّ. ثم انَّ الاعشى سافر وقد كان الكلبيّ انذر دمَهُ فغزا الكلبيُّ في جيشٍ فاغار على قومٍ فيهم الاعشى فاخذهُ اسيرًا وهو لا يعرف الاعشى. فسأل الاعشى من كان في يدهِ ان يصير بهِ الى شُرَيح بن السموءل وكان شُرَيح في حصن ابيهِ وهو الابلق فلمَّا صار اليهِ عرَّفهُ نفسهُ فقال الاعشى:

شُرَيحُ لا تتركنّي بعد ما علِقت ... حبالَك اليوم بعد الله اظفاري
قد جلتُ ما بين بانِقيا الى عدنٍ ... وطال في العجم تَكْراري وتسياري (١
فكان اكرمهم عهدًا واوثقهم ... عقدًا ابوك بعُرفٍ غير إنكارِ
كالغيث ما استمطروهُ جاد وابلُهُ ... وفي الشدائد كالمستأسدِ الضاري (٢
كن كالسموءلِ اذ طاف الهمامُ بهِ ... في جَحْفَل كسوادِ الليل جرَّارِ (٣
اذ سامهُ خطَّتَيْ خسفٍ فقال لهُ ... قُلْ ما بدا لك اني سامعٌ حارِ
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ انت بينهما ... فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غير بعيدٍ ثم قال لهُ ... اقتُل اسيرك اني مانعٌ جاري
وسوف يُعقبُنيهِ ان ظَفِرتَ بهِ ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذات أطهارِ (٤

*) وروى في الاغاني (٨: ٨٢): جبَّار

[الشروح لنفطويهِ في اصل الكتاب بعد كل بيت]

١) قولهُ « تكراري » يعني ذهابي ومجيئي. ويقال: كرَّ في طريقه اذا رجع (4) فيهِ ناءًا قولهُ تبارك وتعالى « ثم رددنا لكم الكرَّ عليهم » فمعناهُ جعلنا لكم الرجعة عليهم. ومنهُ قول رسول الله صلى الله عليهِ وآله لاصحابه يوم حنين حين انهزموا ثم رجعوا فقالوا: نحن الفرَّارون. فقال لهم: انتم المكَّارون الكرَّارون اي رجعتم

٢) قولهُ « جاد وابلهُ » قال الفرَّاء: الوابل المطر العظيم القَطْرِ. يقال: وبَلت السماء تَبِلُ وَبْلًا. ويقال: وابِل ووَبْل مثل صاحب وصَحْب وراكب ورَكْب

٣) قال ابو عمرو: الهُمام الملك سُمّي بذلك لانهُ اذا همَّ بامرٍ فعلهُ. والجحفل الجيش الكثير وكذلك الجرَّار وكانت العرب (5) في الجاهليَّة اذا قاد الرجلُ منهم الف مقاتل سمَّوهُ جرَّارًا

٤) قولهُ « بيض » يعني نساء بيضًا. وقولهُ « ذات أطهارِ » فيهِ معنيان احدهما انهنَّ نساء لا

فاختار أذراعهُ أن لا يُسبّ بها ولم يكن عهدهُ يوماً بختّار (6)
بالابلق الفرد في تيماء منزلهُ حصنٌ حصين وجارٌ غير غدّار

فقال شيخ للكلبي: هَبْني هذا الاسير الذي صار الى رحلي. فقال: هو لك. فاطلقهُ شُرَيح وقال لهُ: أقِمْ عندي فاني احبوك وأكرمك وأُحسن اليك. فقال: ان كنت تريد ان تُتمّ معروفك عندي وان تُهنئني الصنيعة فاحملني على ناقةٍ ناجيةٍ برَحلها وأداتها. فاستوى عليها من وقته ومضى. فبلغ الكلبيَّ خبرهُ وانهُ هو الاعشى فبعث في طلبهِ فلم يقدر عليه وقال لرساله: ان لقيتموهُ فأعلموهُ انّي أحبوهُ وأحبّهُ. فلم يقع في يدهِ

١ وقال السموءل بن عادياء (من الطويل)

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ (١
وَإِنْ هُوَ (٢ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ (7)
تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ (٣ وَجَارُ ٱلْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

يَحِضْنَ ويطهرنَ واذا زال الحيض زال الحبل. ويروى انّ عائشة قالت: ما اتت لامرأةٍ خمسون سنة فحاضت بعد ذلك. والمعنى الآخر: ذاتُ اطهار اي نقيّات بريّات من الريبة والفجور

١) جاء في خلال اسطر الكتاب بخط غير خطّهِ الاصلي ما نصّهُ: الرداء هاهنا مستعار من الفعل اراد ايّ عملٍ عملهُ بعد تجنّب اللؤم كان حسناً. واللؤم اسم الخصال يريد البُخل واختيار ما تشقّيه المروة والصبر على الدنيّة ودناءة النفس والاباء يقول الشاعر: اذا لم يتدنس الرجل باكتساب اللؤم واعتياده فايّ لباس لبسهُ بعد ذلك يكون حسناً جميلًا. و« اذا » في قولهِ « اذا المرء » يفيد معنى الجزاء. والفاء في قوله « فكلّ » مع مدخوله جوابهُ ويَدنس من دَنِس دنساً وتدنّس تدنّساً اذا تكلّفهُ (من شرح الامام المرزوقي للحماسة)

٢) وفي خلال الاسطر: اذا المرء ح

٣) العزيز المنيع وقولهم اعزّك الله اي جعلك الله عزيزاً منيعاً لا تُذلّ ولا يُنال منك. والعَزاز الارض الغليظة العالية ويقال عزّهُ يعزّهُ اي غلبهُ ومنهُ قولهُ تبارك وتعالى: وعزّني في الخطاب

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى (١ لِلْعُلَى وَكُهُولُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِلُّهُ مُنِيفٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ (٢
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ (٣
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ (٤
يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ (٥
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ تَسِيلُ (٦
وَمَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلَّ يَوْمًا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ (٧
صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ (٨

---

١) في خلال الاسطر : اراد تَتَسَامى

٢) قولهُ « منيف » اي عالٍ على ما سواه ومنهُ سُمّي عبد مناف (8) ومنهُ قولهم « نيّف وعشرون » اي زيادة

٣) قولهُ « رسا » اي ثبت ومنهُ سُمّيت الجبالُ الراسيات . ويقال : ارساهُ الله فرسا . ومنهُ قولهُ : والجبال ارساها

٤) يقول : نصبر على الحرب ولا نرى القتل سبَّةً اي عارًا انّما السبَّة عندنا في الفرار

٥) يقول : تألَفُ أنفسنا هيّن علينا اذا خفنا ان نُعيَّر الفرار كما قال قيس بن الحطيم (9) :

وانّيَ في الحرب العوان موكَّلٌ بإقدام نفسٍ لا اريدُ بقاها

٦) الظُبات جمع ظُبَة وهي طرف حدّ السيف

٧) يقول : لا نموت في فُرُشنا لانّنا اصحاب حرب ومنايا الكرام في القتل . قال زُهَير :

وان يُقتَلوا فيُشتفى من دمائهم وكانوا قديمًا في منايامُ القتلُ

وقولهُ « وما طُلَّ منّا حيث كان قتيلُ » يقال طُلَّ دمُهُ وأُهدر اذا ذهب باطلًا ولم يدرَك بثارهِ

٨) سِرُّ القوم خيارهم يقال : انهُ من سِرّ قومهِ ومن صُيَّابتهم ومن صَميمهم ومن لُبابهم . قال جرير :

تُجُبٌ من السرّ العتيقِ نمى بها فوق النجائب شدقمٌ وجديلُ

وزعم الفرّاء انّ قول الله تبارك وتعالى « ولكن لا تواعدوهنّ سرًّا » . قال : السِرّ النكاح . وقال جرير :

ضُيِّمتُمُ بِلِوى الذنائبِ نِسوةً للحارثيِّ فباشَرا الاسرارا

(10) عَلَوْنَا إلى خَيرِ ٱلظُّهورِ وَحَطَّنَا لِوَقتٍ إلى خَيرِ ٱلْبُطونِ نُزُولُ ١)

فَنَحنُ كَمَاءِ ٱلْمُزنِ مَا فِي نِصَابِنَا كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ ٢)

وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ (11)

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ ٱلدَّارِعِينَ فُلُولُ ٣)

مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ ٤)

سَلِي إِنْ جَهِلْتِ ٱلنَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ وَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ (12)

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى ٱلنَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ ٱلْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ ٥)

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى قَامَ سَيِّدٌ قَؤُولٌ لِمَا قَالَ ٱلْكِرَامُ فَعُولُ ٦)

وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَمَا ذَمَّنَا فِي ٱلنَّازِلِينَ نَزِيلُ ٧) (13)

---

١) (هذا البيت لم يُروَ في الاصل وقد كُتب في هامش الكتاب)

٢) المزن السحاب الابيض واحدته مُزنةٌ. والكهام السيف غير القاطع وكذلك الدّدان فاذا قيل للرجل كهام بالذمّ فأنّما هو كالسيف غير القاطع

٣) يوم الكريهة يوم القتال. والقراع والمُقارعة المجالدة. يقال: تقارَعَ القومُ اذا تجالدوا بالسيوف. وقولهُ «فلول» يعني كسورًا لكثرة الضرب بها

٤) يقال نَصل السيف ونُصُولُهُ. قال الفرّاء: يقال غمدتُ السيف اغمِدهُ. والقبيل الفِرقة. قال الله تبارك وتعالى في ذكر الشيطان: انهُ يريكم (يراكم) هو وقبيلهُ من حيث لا ترونهم. ويقال: قبيلةٌ وتُجمع القبيلة القبائل والقَبيل والقُبُل

٥) قال الفرّاء: يقال نكرتُهُ وأنكرتهُ. وقد جاء بهما القرآن قولهُ: «نكرَهم وأوجس منهم خيفة». وقولهُ: «قوم مُنكرون»

٦) يقول: لسنا كمن اذا مات سيّدهم بقوا بلا سيّد ولكن يسود العقب بعد العقب كما قال اوسُ بن حجر:

اذا مُقرَمٌ منّا ذرا حدُّ نابهِ تخمّطَ فينا نابُ آخر مُقرَمِ

٧) يقول: لا تُطفأُ نارنا اذا اتانا ضيف ليخفى عنهُ مكاننا. ومثلهُ قال النجاشيّ في مرثية الحسين بن عليّ صلواتُ الله عليهِ:

كانت اذا شُبّت لهُ نارهُ يرفعها بالسند القابلِ
كيما يراها بائسٌ مُرملٌ او فردُ حيّ ليس بالآهلِ

وكما قال الحطيئة:

(14) ٢ وقال السموأل ايضاً (من الخفيف)

١) نُطْفَةٌ مَا مُنِيتُ يَوْمَ مُنِيتُ   أُمِرَتْ أَمْرَهَا وَفِيهَا بُرِيتُ

كَنَّهَا اللهُ فِي مَكَانٍ خَفِيٍّ   وَخَفِيٌّ مَكَانُهَا لَوْ خَفِيتُ (٢ (15)

مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ ثُمَّ حَيِيتُ   وَحَيَاتِي رَهْنٌ بِأَنْ سَأَمُوتُ

٣) إِنَّ حِلْمِي إِذَا تَغَيَّبَ عَنِّي   فَاعْلَمِي أَنَّنِي كَبِيرًا رُزِيتُ

٤) ضَيِّقُ الصَّدْرِ بِالْأَمَانَةِ لَا يُفْـ   ـجِعُ فَقْرِي أَمَانَتِي مَا بَقِيتُ

٥) رُبَّ شَتْمٍ سَمِعْتُهُ فَتَصَامَمْـ   ـتُ وَغَيٍّ تَرَكْتُهُ فَكُفِيتُ (16)

ونِعْمَ الحيُّ حيُّ بني كليبٍ   اذا ما أوقدوا فوق اليفاعِ

وقال ابو عبد الله: وهذا كثير وضدُّهُ قول الاخطل في هجائهِ لبني كُلَيب:

قومٌ اذا استنبح الاضيافَ كلبُهُمُ   قالوا لأُمّهم بولي على النارِ

والطارق من اتى ليلًا ولا يقال لمن اتى بالنهار طارق وبهذا سُمّي النجمُ طارقًا لانهُ يأتي ليلًا. وامَّا قول هند ابنة عُتبة: «نحن بناتُ طارق» اي نحن بناتُ النجم كرمًا. وقولهُ: «وما ذمَّنا في النازلين نزيلُ» النزيل هاهنا الضيف وهو الثويُّ ايضاً. قال ذو الرمَّة:

فقلتُ لها لا بل همومٌ تضيَّفَتْ   ثَوِيَّك والظلماء مُرخًى سدولها

١) قولهُ: «نُطفة ما مُنِيتُ» من المنيّ من قول الله جلَّ وعزَّ: «أفرأيتم ما تُمنون». قال الفرَّاء: مَنَى الرجل من المنيّ وكذلك أمنى. وقولها أُمِرَت أمرها اي امرها الله ان تكون علقةً ثم مضغةً ثم تكون عظاماً ثم تُكسى لحماً كما اخبر الله. وقولهُ: «وفيها بُريتُ» اي خُلقتُ من برأ الله الخلق. قال ابو عبيدة: العرب تدع الهمزة في ثلثة اسماء اصلها الهمز البريَّة وهي من بَرَأَ الله الخلق والذريَّة وهي من ذرأهم والنبوَّة وهي من نبأهُ الله. قال ابو عبيدة: ومن الخابية وهي خبأتُ. وقال احمد بن يحيى: والرويَّة جرت في كلامهم بغير همز وهي من روَّأتُ في الامر

٢) قال الفرَّاء: يقال اكننتُ الشيء في نفسي ومنهُ قول الله جلَّ وعزَّ: «وأكننتم في انفسكم» وكننتُهُ جعلتهُ في كنّ وهو مكنون ومنهُ قولهُ: بيضٌ مكنون

٣) يقول: اذا غاب عني حِلمي رُزِيتُ امرًا عظيماً

٤) يقول: اذا افتقرتُ لم أخُن اماني للفقر ولكنّي اصبر على اداء الامانة على كل حال

٥) يقول: تصاممتُ عن من شتمني كأني لم اسمع حلماً وتكرُّماً. قال الآخر:

اصمُّ عن الخَنَى ان قيل يوماً   وفي غير الخَنَى ألفى سميعا

لَيتَ شِعرِي وَأَشعُرَنَّ إِذَا مَا قَرَّبُوهَا مَنشُورَةً وَدُعِيتُ (١
أَلِيَ ٱلفَضلُ أَم عَلَيَّ إِذَا حُو سِبتُ إِنِّي عَلَى ٱلحِسَابِ مُقِيتُ (٢
وَأَتَانِي ٱليَقِينُ أَنِّي إِذَا مُتُّ م وَإِن رَمَّ أَعظُمِي مَبعُوتُ (٣ (17)
هَل أَقُولَنَّ إِذ تَدَارَكَ ذَنبِي وَتَذَكَّى عَلَيَّ أَنِّي نُهِيتُ
أَبِفَضلٍ مِنَ ٱلمَلِيكِ وَنُعمَى أَم بِذَنبٍ قَدَّمتُهُ فَجُزِيتُ
يَنفَعُ ٱلطَّيِّبُ ٱلقَلِيلُ مِنَ ٱلرِّز قِ وَلَا يَنفَعُ ٱلكَثِيرُ ٱلخَبِيتُ
فَٱجعَلِ ٱلرِّزقَ فِي ٱلحَلَالِ مِنَ ٱلكَسبِ وَبِرًّا سَرِيرَتِي مَا حَيِيتُ
وَأَتَتنِي ٱلأَنبَاءُ عَن مُلكِ دَاوُو دَ فَقَرَّت عَينِي بِهِ وَرَضِيتُ (18)
وَسُلَيمَنَ وَٱلحَوَارِيَّ يَحيَى وَمَتَى . يُوسُفَ كَأَنِّي وَلِيتُ (٤
وَبَقَايَا ٱلأَسبَاطِ أَسبَاطِ يَعقُو بَ دِرَاسُ ٱلتَّورَاةِ وَٱلتَّابُوتُ (٥
وَٱنفِلَاقُ ٱلأَموَاجِ طُودَينِ عَن مُو سَى وَبَعدُ ٱلمُلكُ ٱلطَّالُوتُ (٦

---

١) يعني بقولِهِ « قرَّبوها منشورةً » كُتُبَ عَمَلِهِ كما قال الله تبارك وتعالى : « وكلَّ انسان الزمناه طائرهُ في عُنقهِ ونُخرج لهُ يوم القيامة كتابًا يلقاهُ منشورًا »

٢) قولهُ « مقيت » اي مقتدر ومنهُ قولهُ تبارك وتعالى : « وكان الله على كلِّ شيء مقيتًا » اي مقتدرًا

٣) قولهُ « رمَّ اعظمي » اي بَلِيَتْ . ويقال للعظم البالي رُمَّةٌ وجمعها رِمَمٌ . وقولهُ : « مبعوت » اي مبعوث (ومثلهُ بعد هذا « خبيت » اي خبيث) وهذه لغة طيّ . وقال اليزيدي : ليس في لغة اليهود ثاء وانما يقلبونها تاء

٤) انَّما قال « والحواريَّ يحيى » ولم يقل عيسى لانَّهُ يهودي لا يؤمن بعيسى صلوات الله عليهِ (راجع المقدَّمة)

٥) (في الاصل : التورية) . قال : سمعتُ احمد بن يحيى يقول التَّورية تَفعِلَة من وَرَيْتُ النار وهو من التَّورية

٦) وانفلاق الامواج يعني انفلاق البحر لموسى عليهِ السلام حين نجَّاه الله وقومهُ من فرعون وآلهِ . وفي الخبر ان موسى صلَّى الله عليهِ اتى البحر وهو جانح فضربهُ بعصاه وقال (19) : إجَا ابا خالدٍ . فانفلق فمرَّ هو وقومهُ فلمَّا جاء فرعون وقومهُ لِيلحقوهم التأم عليهم البحر فغرَّقهم.

وَمُصَابُ ٱلْإِفْرِيسِ حِينَ عَصَى ٱللّٰهَ م وَإِذْ صَابَ حَيْنَهُ ٱلْجَالُوتُ
لَيْسَ يُعْطَى ٱلْقَوِيُّ فَضْلًا مِنَ ٱلرِّزْ ق وَلَا يُحْرَمُ ٱلضَّعِيفُ ٱلشَّخِيتُ (١
بَلْ لِكُلٍّ مِنْ رِزْقِهِ مَا قَضَى ٱللّٰهُ م وَإِنْ حَزَّ أَنْفَهُ ٱلْمُسْتَمِيتُ (20)

٣ وقال السموءل ايضاً (من المتقارب)

أَبِالْأَبْلَقِ ٱلْفَرْدِ بَيْتِي بِهِ وَبَيْتُ ٱلْمَصِيرِ سِوَى ٱلْأَبْلَقِ (٢
بِبَلْقَعَةٍ أُثْبِتَتْ حُفْرَةٌ ذِرَاعَيْنِ فِي أَرْبَعٍ خَيْسَقِ (٣
فَلَا أَدْفَعُ ٱلضَّيْفَ عَنْ رِزْقِهِ لَدَيَّ إِذَا قِيلَ لَمْ يُرْزَقِ (٤ (21)
وَفِي ٱلْبَيْتِ ضَخْمَاءُ مَمْلُوءَةٌ وَجَفْنٌ عَلَى هَمِعٍ مُدْهَقِ (٥

حدَّثنا محمد بن شاذان قال : حدَّثنا محمد بن سابق قال : حدَّثنا اسرائيل عن ابي يحيى عن مجاهد في قولهِ « واترك البحر رهوًا » اي جبلًا . والطور الجبل

١) الشَّخيت والشَّخت الدقيق قال ذو الرمَّة :

شَخْتُ الحزَازة مثل البيت سائرهُ من المُسوح خِدبٌ شَوْقَبٌ خَشِبُ

٢) الابلق حصن كان ينزلهُ السموءل . في ذلك يقول الاعشى :

بالأَبلق الفَرْد من تيماء منزلهُ حصنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدَّارِ

٣) قولهُ « ببلقعة » يعني بصحراء خالية وانَّما يعني قبرهُ . وقولهُ « خَيْسَق » اي على مقدار المدفون يوافقهُ ذلك

٤) يقال للرجل والمرأة ضَيْف والجمع اضياف . قال الله تبارك وتعالى : ونَبِّئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليهِ . ويقال : ضَيْف وضيوف وضيفان . ويقال : أضَفْتُ الرجل اذا انزلتهُ وضافني نزل عليَّ وكذلك ضِفْتهُ نزلت عليهِ

٥) قولهُ « وفي البيت ضخماء مملوءة » يعني قدرًا اسودا (كذا) والهمع الرقّ الذي يرشح ويسيل ويقال : همعتْ عينهُ هموعًا اذا سال دمعها . قال جرير :

ونحن صدعنا هامة ابن محرّقٍ فلا زقأت تلك العيونُ الهوامعُ

وقولهُ مُدْهق يعني مملوءة وكذلك مُدْأق . يقال : أدهقتُ الاناء وادأقتهُ اذا ملأتهُ . ومنهُ قولهُ تعالى : وكأسًا دهاقًا . ويروى عن انهُ سُئل عن قولهِ « وكأسًا دهاقًا » . فقال : دَم دَم . يعني مملوءة بالفارسيَّة

(22) أَبِيتُ ٱلَّذِي قَدْ أَتَى عَادِيًا وَحَيًّا مِنَ ٱلْخَلْقِ ٱلْأَرْوَقِ (١

٤ وقال السموءل ايضاً (من الكامل)

أَصْبَحْتُ أَفْنِي عَادِيًا وَبَقِيتُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَتِي وَأَمُوتُ (٢ (23)

وَلَقَدْ لَبِسْتُ عَلَى ٱلزَّمَانِ جَدِيدَهُ وَلَبِسْتُ إِخْوَانَ ٱلصِّبَى فَبَلِيتُ (٣
غَلَبَ ٱلْعَزَا عَمَّنْ أَرَى فَتَعْتُهُ وَخُدِعْتُ عَمَّا فِي يَدِي فَأَسِيتُ (٤
وَمَسَالِكٍ (٥ يَسَّرْتُهَا فَتَرَكْتُهَا وَمَوَاعِظٍ عَلِمْتُهَا فَنَسِيتُ (24)

---

١) قولهُ من الخلق الاروق بني العالي. ويقال: هؤلاء رُوق قومهم اي عظاؤهم وكرماؤهم. ويقال: لخير من عاس الرَّوقان والرَّوق عند العرب ان تبيع الشيء ثم تريد على ثمنهِ وتشتري من جنسهِ. والرَّوق الاعجاب. يقال: راقني يروقني اي اعجبني. قال القطاميّ:

صريعُ غوانٍ راقهنَّ ورُقنَهُ لَدُنْ شبَّ حتّى شاب سُودُ الذوائبِ

ويقال للقرن الرَّوق. ويقال: رَوْق الشباب وريَّقهُ وريِّقهُ اولهُ. قال البعيث:

مدحنا لها روق الشباب فعارضت جناب الصبى من كاتم السرّ اعجما

وكذلك يقال لاوّل المطر ريِّقهُ

٢) الحُشاشة بقيَّة النفس. يُقال: أفلتَ بحُشاشتهِ وأفلت بجريضهِ وافلتَ بجُريعةِ الذَّقَن (وافلت بذمائهِ). قال ابو ذؤيب:

فأبدَهنَّ حتوفهنَّ فهاربٌ بذمائهِ وباركٌ مُتجعجعُ

٣) يقول كنتُ صبيًّا اصحب اخوان الصبى فلبستُ جديد الدهر فأبلاني ذلك

٤) يقول غلب العزاء عمَّن ذهب وبقي وخُدعتُ عمَّا في يدي فأسيتُ عليهِ اي حزنتُ عليهِ. يقال: اسِيَ يأسى اسًى مقصور. ومنهُ قولهُ تبارك وتعالى: فلا تأسَ على القوم الفاسقين. اي لا تحزن عليهم

٥) قولهُ «مسالك» اي ربَّ مسالكِ مذاهبِ من الصواب. يسَّرتُها هيَّأتها. يقال: يسَّرته لهذا الامر اي هيَّأتهُ لهُ. ومنهِ قولهُ: «فسنُيسِّرهُ للعُسرى». قال الفرَّاء: ليس في العُسرى تيسير انما معناهُ فسنهيِّئهُ. قال جرير:

فما يسَّرَتْ عند الحِفاظ مُجاشعٌ كريمًا ولا من غاية المجد دانيا

قال الفرَّاء: يُقال يسَّرت الغنم اذا ولدت. وانشدني محمد بن الجهم عن الفرَّاء:

هما سيِّدانا يزعمانِ وانما يسودانِنا ان يسَّرت غنماهما

٥ وقال السموءل ايضاً (من الكامل)

إِسْلَمْ سَلِمْتَ وَلَا سَلِيمَ عَلَى ٱلْبِلَى ... فَنِيَ ٱلرِّجَالُ ذَوُو ٱلْقُوَى فَفَنِيتُ (١
كَيْفَ ٱلسَّلَامَةُ إِنْ أَرَدْتَ سَلَامَةً ... وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُنِي وَلَسْتُ أَمُوتُ (25)
وَأُقِيلُ حَيْثُ أَرَى فَلَا أَخْفَى لَهُ ... وَيُرَى فَلَا يَبْدُو بِحَيْثُ أَبِيتُ
مَيْتًا خُلِقْتُ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا ... شَيْئًا يَمُوتُ فَمُتُّ حَيْثُ حَيِيتُ (٢
وَأَمُوتُ أُخْرَى بَعْدَهَا وَلَاعْلَمَا (٣ ... إِنْ كَانَ يَنْفَعُ أَنَّنِي سَأَمُوتُ

٦ وقال ايضاً (من الوافر)

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ ٱلْخُبَيْتُ ... إِلَى ٱلْإِحْرَامِ لَيْسَ بِهِنَّ بَيْتُ (٤
أَعَاذِلَتَيَّ قَوْلُكُمَا عَصَيْتُ ... لِنَفْسِي إِنْ رَشَدْتُ وَإِنْ غَوَيْتُ
بَنَى لِي عَادِيَا حِصْنًا حَصِينًا ... وَعَيْنًا كُلَّمَا شِئْتُ ٱسْتَقَيْتُ
طِمِرًّا تَزْلَقُ ٱلْعِقْبَانُ عَنْهُ ... إِذَا مَا ضَامَنِي شَيْءٌ أَبَيْتُ (٥
وَأَوْصَى عَادِيَا جَدِّي بِأَنْ لَا ... تُضَيِّعَ يَا سَمَوْءَلُ مَا بَنَيْتُ (27)

---

١) قوله «إسلم» دعاء ثم رجع فقال: «ولا سليم على البلى» اي البلى لا يسلم عليه شيء حتى يبليه. وقوله: «فني الرجال ذوو القوى ففنيت». يقول: كانوا شباباً فلما فنوا فنيتُ لانّنا بسنّ

٢) يقول أنّما خلقتُ للموت فكان كوني سبب موتي. ومنه قول اعرابيّة مات ابنها فقيل لها: ما كان سبب موته. قالت: كونهُ

٣) يريد: (لأعلمنّ)

٤) الخُبَيت تصغير خَبت وهو ما اطمأنّ من الارض ومنهُ (26) إخباتُ الرجل وهو في الطمأنينة والتواضع

٥) الطمرّ المُشرف وهو هاهنا من نعت الحصن. وقولهُ: «تزلق العقبانُ عنهُ» لملوسه وملاسته كما قال الاعشى:

في مَجدلٍ شُيِّدَ بُنيانهُ ... يَزلُّ عنهُ ظُفُرُ الطّائرِ

وَبَيْتٍ قَدْ بَنَيْتُ بِغَيْرِ طِينٍ   وَلَا خَشَبٍ وَمَجْدٍ قَدْ أَتَيْتُ (١)
وَجَيْشٍ فِي دُجَى ٱلظَّلْمَاءِ مَجْرٍ   يَؤُمُّ بِلَادَ مَلْكٍ قَدْ هَدَيْتُ (٢)
وَذَنْبٍ قَدْ عَفَوْتُ لِغَيْرِ بَاعٍ   وَلَا وَاعٍ وَعَنْهُ قَدْ عَفَوْتُ (٣)
فَإِنْ أَهْلِكْ فَقَدْ أَبْلَيْتُ عُذْرًا   وَقَضَّيْتُ ٱللُّبَانَةَ وَٱشْتَفَيْتُ
وَأَصْرِفُ عَنْ قَوَارِصَ تَجْتَدِينِي   وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ بِهَا جَزَيْتُ (٤)
فَأَحْمِي ٱلْجَارَ فِي ٱلْجُلَّى فَيُمْسِي   عَزِيزًا لَا يُرَامُ إِذَا حَمَيْتُ (٥)
وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ ٱلْكِنْدِيِّ إِنِّي   إِذَا مَا ذُمَّ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ (٦)

---

١) يعني بيت الشرف ويقال بيت الشعر وسمعتُ من ينشد هذا البيت يعني بيت الشعر:

وبيتٍ ليس من وَبَرٍ وطينٍ   على ظهر المَطيَّة قد بَنَيْتُ

٢) المجر من الجيش الكثير العدد. يقال: مَجِرَتِ الشاة وامتجرت اذا عظم بطنها عن الحَبَل. وفي الحديث نُهيَ عن بَيْع المَجْرة والمضامين والملاقيح وحَبَل الحَبَلة. فأمّا المضامين فما في أصلاب الذكور والملاقيح ما في بطون الإناث وحَبَل الحَبَلة ان يُباع ولد الناقة قبل ان تلد وبلد ولدها وهذا من نوع الجاهليّة. وقولهُ: « يؤمُّ » يعني يقصد. ومَلْكٍ يعني مالكًا. قال الفرّاء: مَلْك باسكان الميم لغة في ربيعة. وقولهُ: « قد هديتُ » يعني من الهداية (28)

٣) قال الفرّاء: يقال بَاهُ يَبُوهُ. ومنهُ قول الآخر:

وإيسالي بنيَّ بغير ذنبٍ   بَمُوْناه ولا بدمٍ مُراقُ

٤) القوارص الكلمات المكروهة. وقال الفرزدق:

قوارصُ تأتيني وتحتقرونها   وقد يملأ القطرُ الإناء فيفعمُ

وقولهُ « تجتديني » اي تعيبني. يقال: اجتداهُ وجَدَبه اذا عابهُ. ومنهُ حديث سلمان: جدب لنا عُمرُ بنُ الخطّاب السَّمَرَ بعد عشاء الآخرة. يعني عابهُ

٥) الجُلَّى الامر الجليل. يقال: امرٌ اجلّ وقصّة جُلّى وكذلك امرٌ أمرُّ وخَصلة مُرّى. ومنهُ قول عبد الله بن مسعود في الرجل يبخلُ بماله حتّى اذا حضرتهُ الوفاة اوصى فأسرف في وصيّته: أضنًّا في الحياة وسَرَفًا بعد الموت فتأتيك المُرَّيان

٦) يقال: وَفى وأوفى. وقال الفرّاء: وفى لغة قريش واهل الحجاز وفى. (واوفى) لغة تميم وانشد:

امّا ابنُ طَوْقٍ فقد أوفى بذمّته   كما وفى بقلاص النجم حاديها

وَقَالُوا إِنَّــهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ فَلَا وَٱللهِ أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ (١ (29)
وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ حَبَا عُنَيسٌ إِلَى بَعْضِ ٱلْبُيُوتِ لَقَــدْ صَبَوْتُ
وَقُبَّةِ حَاصِنٍ أَدْخَلْتُ رَأْسِي وَمِعْصَمَهَا ٱلْمُوشَّمَ قَدْ لَوَيْتُ (٢
وَدَاهِيَــةٍ يَظَلُّ ٱلنَّاسُ مِنْهَا قِيَامًا بِٱلْمَحَارِفِ قَدْ كَفَيْتُ (٣

٧ وقال ايضاً (من المنسرح)

لَمْ يَقْضِ مِنْ حَاجَةِ ٱلصِّبَا أَرَبَا وَقَــدْ شَآكَ ٱلشَّبَابُ إِذْ ذَهَبَا (٤
وَعَاوَدَ ٱلْقَلْبَ بَعْدَ صِحَّتِــهِ سُقْمٌ فَلَاقَى مِنَ ٱلْهَوَى تَعَبَا
إِنَّ لَنَا فَخْمَــةً مُلَمْلَمَــةً تَقْرِي ٱلْعَدُوَّ ٱلسِّمَامَ وَٱللَّهَبَا (٥

---

١) المعنى: فلا والله لا اغدر. فترك «لا» لأنَّ المعنى يدلُّ عليها

٢) المِعْصَم موضع السوار والموشَّم عليهِ اثر الخُضْرَة وكان هذا زينة نساء الجاهليَّة فنهى عنهُ رسول الله صلى الله عليه وآله

٣) المحارف الاميال واحدها مِحْرَف. وهو المسبار يقدَّر بهِ الشجَّة والجُرح ثم يُعالج. قال أَوْس بن حُجْر:

كما زلَّ عن رأس الشجيجِ المَحَارِفُ

(30) قال الاخطل:

اهوى ابو حنشٍ طعنًا فأَسأرَهُ فوهاء نجلاء تُعيي كلَّ مِسبارِ

يعني طعنة فوهاء واسعة الفم ونجلاء واسعة الشقّ وانما هذا مثل الداهية وانَّما عظيمة لا يُعرف مقدارها كالجرح والشجَّة لا يُعرف مقدارهما فيُسبران ومن هذا قولهم: وقد سبرتُ ما عندهُ اي عرفتُ مقداره

٤) الارب الحاجة وكذلك المأرُبة وهي المآرب. ومنهُ قول الله جلَّ وعزَّ: «ولي فيها مآرب أُخرى». وقولهُ: «شآكَ الشباب» اي فاتكَ. يقال: شآهُ اي سبقهُ وشآه فاتهُ. وسمعت احمد بن يحيى يقول: شآني الشيء اعجبني وانشد:

مرَّ الحمولُ فما شأَوْنَكَ نقرةً ولقد اراك تُشاء للاظعانِ (31)

٥) قولهُ: «انَّ لنا فخمةً» يعني كتيبةً عظيمةً. وقولهُ «ململمةً» يعني مجتمعاً بعضها الى بعض. وقولهُ: «تقري العدوَّ سماماً» اي تجعل لهُ مكان القرى السمَّ وانما يعني القتل

رَجْرَاجَةً عَضَّلَ ٱلْفَضَاءُ بِهَا   خَيْلًا وَرَجْلًا وَمَنْصَبًا عَجَبَا (١
أَكْنَافَهَا كُلُّ فَارِسٍ بَطَلٍ   أَغْلَبَ كَٱللَّيْثِ عَادِيًا حَرِبَا (٢
فِي كَفِّهِ مُرْهَفُ ٱلْغِرَارِ إِذَا   أَهْوَى بِهِ مِنْ كَرِيهَةٍ رَسَبَا (٣
أَعَدَّ لِلْحَرْبِ كُلَّ سَابِغَةٍ   فَضْفَاضَةٍ كَٱلْغَدِيرِ وَٱلْيَلَبَا (٤ (33)
وَٱلسُّمْرَ مَطْرُورَةً مُثَقَّفَةً   وَٱلْبِيضَ تَزْهِي تَخَالُهَا شُهُبَا (٥
يَا قَيْسُ إِنَّ ٱلْأَحْسَابَ أَحْرَزَهَا   مَنْ كَانَ يَغْشَى ٱلذَّوَائِبَ ٱلْقُضُبَا (٦

---

١) قولهُ « رجراجة » اي كثيرة الحركة . وقولهُ « عضل الفضاء بها » اي ضاق بها السعة كما قال اوس بن حُجر :

ترى الارض منّا بالفضاء مريضةً   مُعَضِّلَةً منّا بجيشٍ عرمرمِ

ويقال عضَّلت المرأة اذا نشب ولدُها في بطنها فعسر مخرجهُ . ومنهُ قول عمر بن الخطّاب : اعضل بي اهل الكوفة لا يرضون عن (33) والٍ ولا يرضى عنهم والٍ . وقولهُ : « ومنصباً » المنصب الاصل وكذلك المحتد والعنصر

٢) قولهُ « اكنافها » يعني الكتيبة واكنافها جوانبها واحدها كنَف . وقولهُ : « بطلٍ » يعني شجاعاً تبطل الحِيَل فيهِ . وقولهُ « اغلب » يعني غليظاً . والحَرِب المتهيّج . تقول : حرَّبتُهُ فتحرَّب ومنهُ قول جرير :

اني اذا الشاعرُ المغرور حرَّبني   جارٌ لقبر على مرّان مرموسِ

٣) قولهُ « مرهف الغرار » يعني سيفاً . والمرهف المحدَّد . وغرار السيف حدُّهُ . وقولهُ : « رَسَبا » اي لم ينبُ

٤) قولهُ « سابغة » هي الطويلة التامَّة في الدروع . وكذلك الفضفاضة . وقولهُ « كالغدير » شبَّه الدروع في صفائها بغدير الماء كما قال جرير :

ترى تحت المحامل سابغاتٍ   كنَسْج الرِّيح تطَّرِدُ الحبابا

واليَلَب جلود يُعمل منها شيء يُلبس تحت الدروع ويقال هي قلانس من جلود

٥) السُّمْر يعني الرماح قال الاصمعي : انما توصف الرماح بالسُّمر لأنَّ الرماح اذا تركت مكانها حتى تجفّ ثم قُطعت كانت سُمْرًا وكان ذلك اجود لها . ومثقَّفة مقوَّمة . والبيض يعني السيوف . وقولهُ : « تخالها شهباً » جمع شهاب وهي الكواكب يقول تبرق كأنَّها كواكب

٦) يقول انما يُحرزُ الاحساب مَنْ ضاربَ بالسيف واغشى (33) الذوائب . والقُضب جمع قَضيب وهو السيف

مَنْ غَادَرَ ٱلسَّيِّدَ ٱلسَّبِطْرَ لَدَى م ٱلْمَعْرَكِ عَمْرًا مُخَضَّبًا تَرِبًا (١
جَاشَ مِنَ ٱلْكَاهِنَيْنِ إِذْ بَرَزُوا أَمْوَاجَ بَحْرٍ تُقَمِّصُ ٱلْحَدَبَا (٢
لِنَصْرِكُمْ وَٱلسُّيُوفُ تَطْلُبُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَأَمْعَنُوا هَرَبَا (٣
وَأَنْتَ فِي ٱلْبَيْتِ إِذْ يُحَمُّ لَكَ م ٱلْمَاءُ وَتَدْعُو قِتَالَنَا لَعِبَا (٤

٨ وقال السموأل ايضاً (من الطويل)

رَأَيْتُ ٱلْيَتَامَى لَا يَسُدُّ فُقُورَهُمْ قِرَانَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ (٥
فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمِ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرَ مُعْزِبِ (٦

---

١) قولهُ « غادر السيّد » اي تركهُ ومنهُ قول الله تبارك وتعالى: « لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً الّا احصيها (احصاها) ». والسبطرّ العظيم والامير. والمعرك موضع القتال. يقال: اعترك القوم وتماركوا وبهذا سُمّيت المعركة. قال: وسألتُ اعرابيّاً من كلاب فقلتُ: ما اسمك. قال: مُمارك. فقلتُ: تمارك. قال: اي والله. فقلتُ: بيدك ام بلسانك. فقال: بهما والله كليهما. ثم قلت لاخٍ لهُ معهُ: ما اسمك. فقال: اشهب. فقلتُ: أَسِمَةٌ ام صفة. قال: بل سِمَةٌ

٢) الكاهنان من قُرَيظة. وقولهُ « جاش » يعني هاج. وقولهُ « بحرٌ » يريد (34) كثرة المقاتلة والخيل. والحَدَب امواج الماء واعاليه وكذلك الحَدَب من الارض ما علا. قال الله جلّ وعزّ: وهم في كل حدب ينسلون. ومنهُ قول الآخر:

منحتُ بلادَها النظَرات حتّى تعرّض دونها حدَبٌ وقُورُ

وقولهُ تقمّص اي يردّ ومن هذا قماص الدابّة وهو نزجُها. وقُماص وقِماص جميعاً

٣) الامعان المبالغة يقول: بالغوا في الحرب

٤) قولهُ « يُحَمُّ لك » اي يُسَخَّن والحميم الماء الحارّ وبهِ سُمّي الحمّام وبهذا سُمّي المحموم. وقولهُ: « تدعو قتالنا لعباً » اي تسمّيهِ لجهلك (35)

٥) يقول: لا يَسُدُّ فقرَهُم ان يسقيهم اللّبَن في الأقداح. والقَعْب القَدَح الصغير. وقولهُ: « مشعّب » يعني مُصلَح يقال: شَعَبْتُ الاناء وشعّبتُهُ

٦) قولهُ « اريحا » اي رُدّا الابل من المَرْعَى الى مُراحها لنحرها لهم وقولهُ « سأجعل بيتي مثلَ آخر معزب » اي اني اخليهِ من الابل انحرها للضيوف ومن يسألني حتّى اكون مثل الرجل المُعزب وهو الذي تباعدت عنهُ ابله. يقال « رجل مِعزابة » اذا تباعد في الرعي. ويقال عَزَبَ خيرهُ وعَزَبَ لبّهُ يَعزُبُ ويَعزِبُ اي بَعُدَ

٩ وقال السموءل ايضاً (من الطويل)

لرجل من ملوك كندة يعتذر اليه ويبلغهُ عنهُ انهُ شتمهُ فقال (36)

إنْ كَانَ مَا بُلِّغتَ عَنِّي فَلَامَنِي صَدِيقِي وَحُزَّتْ مِنْ يَدَيَّ ٱلْأَنَامِلُ
وَكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا فِي ثِيَابِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ عَدُوِّيَ قَاتِلُ (١

ثم (والصواب: تمّ) شعر السموءل بن عاديا اليهودي من صنعة ابرهيم بن محمّد ابن عرفة الازديّ المعروف بنفطويه وذلك سحرة الاربعاء ثاني ذي الحجّة من شهور سنة تسع واربعين وستمائة من الهجرة النبويّة والحمد لله اولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا حمدًا مباركًا طيبًا كما هو اهلهُ ومستحقهُ وصلاتهُ على خير بريّتهِ سيدنا ومولانا محمّد النبي وآله وسلّم (38)

وجاء على الهامش بخط الصغاني

بلغ العراض على الاصل المنتسخ منهُ وكتب الملتجي الى حرز الله تعالى الحسن ابن محمّد الحسن الصغاني جعلهُ الله ثقة لا تلحقهُ استرابة ولا ينتسب اليهِ معابة في ذي الحجّة من شهور سنة تسع واربعين وستمائة حامدًا ومصليًا

(حاشية) ولنا على هذا الديوان روايات وزيادات وملحوظات ننشرها في طبعة منفردة نعدُّها للمستشرقين

---

١) حَوْط ومنذر ابناهُ يقول ان كان ما بلّغتهُ عني حقًّا فأنزل الله في ما ذكرت كما قال مَلك بن الحرث الاشتر :

بقّيت وفري وانحرفت عن العُلى ولقيت اضيافي بوجهِ عبوسْ
ان لم اشُنَّ على ابنِ حرب غارةً لم تخلُ يومًا من نهابِ نفوسْ
خيلًا دِراكًا كالسَّعالى شُزَّبًا تعدو ببيضٍ في الكريهةِ شوسْ (37)
حمي الحديد عليهم فكأنّهُ لَمعان برقٍ او بَريق شموسْ

السُّكَّر

للاب يوسف مونجين اليسوعي

انَّ ازمة السكَّر في مصر في العام الماضي ثم مصادرة السكَّر النمسوي في انحاء الدولة العلية بعد اعلان الدستور استوقفتا نظر الوريين في تجارة السكَّر وما يترتَّب عليها من الصوالح وينجم عنها من الارباح وفكَّر بعضهم في انشاء معمل للسكَّر ليستغني بهِ الاهلون عن السكر الذي يستوردونهُ من الخارج فرأينا ان نتقدم لقرَّاء المشرق بحثاً في هذا الامر نلخّص فيهِ ما يتداولهُ العلماء والتجَّار معاً من هذا القبيل

❊ السكَّر واسمهُ ❊ السكَّر لفظة دخيلة في العربية استعارها العرب من الفارسيَّة شكَر ومعناها فيها العصير الحلو والمرجَّح انَّ الفرس نقلوها من لغة الهند لشيوع السكَّر عندهم قبل العجم. ويقال للسكَّر في السنسكريتيَّة «سَركار» ومنها اليونانيَّة (σάκχαρ) في كتب جالينوس ومثالها اسم السكَّر في كل اللغات الاوربيَّة. وقد عرف العرب السكر منذ زمن قديم فورد اسمهُ في الحديث فقالوا عن الكوثر وهو نهر في الجنة على زعمهم انَّ ماءهُ احلى من السكَّر. وجاء في رجز قديم قولهُ:

يكونُ بعد الحَسْوِ والتمزُّرِ في فمِهِ مثلُ عصيرِ السُّكَّرِ

❊ تعريفهُ ❊ يدعو الكيمويُّون سُكَّراً خلاصات نباتيَّة حلوة قابلة للاختمار فتتحوَّل الى كحول وحامض كربونيك. وهو امَّا طبيعيٌّ وامَّا صناعيٌّ فالطبيعيُّ ما وُجد في المركَّبات الآلية كجذور نباتات عديدة وفي كل الاثمار الحلوة. امَّا الصناعيُّ فما استُخرج صناعيًّا من تلك العناصر فجُمّدت عصارتهُ. ويُعرف هذا المركَّب الجامد بالسكر العادي وكلامنا في هذه المقالة عنهُ دون سواه من المواد السكَّريَّة التي توجد في كثير من العناصر الطبيعيَّة الَّا انَّ تجميدها يصعب كمائيَّة العنب وعصارة الاثمار والغلوكوز

السكَّر العاديّ مركَّب جامد ملحيّ الشكل يتبلور على هيئة موشورات ثقلهُ النوعيّ ١,٦ لا يفسدهُ الهواء وهو يتركَّب من ثلاثة عناصر اوليَّة وهي اثنا عشر

قسماً من الكربون واحد عشر قسماً من الاكسيجين ومثاهُ من الهدروجين . والسكّر اذا حُكَّ بجسم صلب او كُسر في الظلمة شعَّ كالاجسام الفسفوريَّة . واذا جُعل في الماء البارد ذاب منهُ على قدر ضعفي ثقل الماء . وقلَّما يذوب في الكحول . واذا أُحمي السكّر الى درجة ١٦٠ صار مائعاً واذا زيد في احمائهِ تبخَّر ماؤهُ وتحوَّل الى مادة سكَّرية لا تذوب تدعى كراميل (Caramel)

﴿ تاريخهُ ﴾ سبق انَّ السكّر كثير في الطبيعة . ومع وفرتهِ بقي البشر اجيالاً عديدة لا يعلمون كيف يستخرجونهُ من النباتات المحتوية عليهِ ليتخذوهُ لحاجاتهم ويدوفوهُ باطعمتهم . وكان اليونان والرومان اذا ارادوا تحلية طعام او ثمار دافوها بالعسل وكذا كان فعلهم بالحلويات والجوارشات والقطائف فانهم لم يعرفوا غير العسل ليُحلوا به طعمها لا بل بقوا على ذلك زمناً طويلاً بعد اكتشاف السكّر لقلَّتهِ وارتفاع ثمنهِ

أمَّا الذين توفَّقوا اوَّلاً الى استحضار السكّر فانَّ التاريخ لم يصن لنا اسماءهم الَّا انهُ من الاكيد المقرَّر انَّ امم الشرق الاقصى كأهل الصين والهند سبقوا غيرهم من الشعوب الى استعمالهِ . روى العلَّامة دي همبولد (de Humboldt) انهُ وقف على آنية صينيَّة عريقة في القدم عليها تصاوير تمثل قوماً يستحضرون السكّر على طرائقهم الدارجة عندهم في ذلك الزمان فيستخرجونهُ امَّا على صورة تباورات تختلف في حجمها وامَّا على شبه رُبّ اي طلاء خاثر . ولم يكن سُكّرهم صافياً محضاً كسكَّرنا الَّا انهُ كان يصلح لحاجاتهم فينالون منهُ غاياتهم

وبقي السكّر سرًّا من اسرار الصناعة الشرقيَّة الى عهد الاسكندر . ففي زمن فتوحات ذي القرنين انجلت للغربيين خفايا الشرق ورأى اليونان اهل الهند يستخرجون السكّر من قصبهِ فعرفوا فوائدهُ واخذ المصريون والفينيقيُّون معاً يتاجرون بهِ وينقلونهُ في جملة السلع التي يجلبونها من الهند . وقد ورد ذكر السكّر في تآليف اليونان والرومان في اوائل تاريخ الميلاد كديوسقوريدس وبلينيوس الطبيعي وجالينوس فدعوهُ باسمهِ او سمَّوهُ بالملح الهندي

لكنَّ السكّر بقي منحصراً مدَّة قرون عديدة في الصيدليات يبيعونهُ بالدرهم لندرتهِ لانَّ الغربيين لم يعتنوا بزراعة السكر . ثم جاء العرب ففتحوا الهند ونقلوا الى بلادهم في العراق وما بين النهرين وسوريَّة وقبرس ومصر ذلك النبات الثمين واعتنوا

بتجميد السكر . وفي عهد الصليبيين أدخل ذاك القصب صقلية وايطالية وبقية البلاد الاوربية . ولما اكتشفت اميركة اسرع الاسبان والبرتغاليون فزرعوه في جزائر كناري والبرازيل وجرى مجراهم الانكليز والفرنسويون في مستعمراتهم الاميركية فزكا زرعهُ وأتى بغلات عجيبة

وكان اهل اوربة تعلّموا افراز السكّر وتجميده من الشرقيين الّا انّ ذاك السكر لم يكن صافياً ممحّصاً فجعل ارباب الصناعة يطلبون طريقةً لتمحيصهِ ولم يزالوا يجهدون النفس في الامر حتى ادرك الغاية المطاربة احد البندقيين سنة ١٤٧٠ ومذ ذاك الحين صار البنادقة واهل مالطة وقبرس وردوس يزاحمون الشرقيين في تجارة السكر فتهاودت اسعاره وعمّ استعمالهُ في كل الجهات وكانت انكلترة في مقدّمة الدول التي تتاجر به امّا فرنسة فاستمدّت منها مقطوعيّتها اوّلًا ثم استحضرتهُ من مستعمراتها الى أيام نابوليون الكبير. فلما قامت الحرب على ساقٍ بين الممالك البريطانية والامبراطور الفرنسوي خمدت تجارة السكر نوعاً وارتفعت اسعارهُ فأخذ نابوليون يسعى في ايجاد طريقة لسدّ الخلل فما لبث السعد ان احظاهُ بالمرام

كان في اواسط القرن الثامن عشر احد علماء الالمان المدعو مركراف (Marggraf) حلّل جذور الشّمندر وهو البنجر فتحقّق انها تحتوي عصيراً حاوياً كعصير قصب السكر فأنشأوا بعض المعامل لاستحضار السكر الصناعي من هذا النبات فأتت مساعيهم بالنجاح لكنّ امور المانية السياسية في اواخر القرن الثامن عشر وفي مفتتح القرن التالي ارخت الهمم فكادت تلك المعامل تتلف اذ علم نابوليون بامرها فتقدّم الى وزير الزراعة بان يخصّ ٣٢٠٠٠ هكتار من الاملاك بزراعة الشمندر ثم وسّع نطاقها وخرّج قوماً لاستثمارها وساعدهُ في ذلك الكيموي بنيامين ديليسار (Delessert) فنجح العمل ايَّ نجاح حتى بلغ عدد معامل السكر عند هبوط نابوليون سنة ١٨١٤ نيفاً و٣٩٠ معملًا وكان محصول الشمندر لا يقلّ عن ٣,٥٠٠,٠٠٠ كيلو . وكان السكر المستخرج من الشمندر في طعمهِ وحسنهِ لا ينقص في شيء عن السكر القصبيّ ولاسيما بعد الاكتشافات المتوالية التي توفّق اليها بعض الكيمويين الفرنسويين كديروم (Derome) وشبتال (Chaptal) وبايان (Payen) وغيرهم الذين لم يزالوا

يحتنون صناعة سكر الشمندر حتى بلّغوها الكمال فناصبت سكر القصب وأنست تجارتهُ واغتنت فرنسة بثروة واسعة

﴿ صناعة السكر ﴾ السكر يُستخرج اليوم من قصب السكر (قصب المص) ومن جذور الشمندر كما سبق ألا انّ طرائق استخراجهِ تختلف في كلٍّ من الصنفين

(السكر القصبي) لا نرى حاجةً في وصف قصب السكر مع شيوعهِ في هذه البلاد وقد سبق جناب مكاتبنا الاديب ميشال افندي سماحة ففصّل في المشرق (١٠: ٦٥٦—٦٦٢) ما يختصّ باصول زراعتهِ فاغنانا عن المراجعة . وقصب السكر اغنى كل النباتات بالسكر وافقرها بالموادّ الغريبة فهو يحتوي نحو ١٨ الى ٢٠ جزءًا في المئة من السكر بالنسبة الى ثقل عصيره

اما استخراج سكرهِ فيكون هكذا: عند ما تبلغ القصبة نضوجها بعد سنة من زراعتها الى سنة وثلاثة اشهر يكون طولها من ثلاثة الى اربعة امتار وقطرها من ٣ الى ١٠ سنتمترات وتتساقط اوراقها ويزهر رأسها فتُقطع قريبًا من جذرها ثم يُقطع رأسها فيُجعل الباقي تحت اسطوانات تدور فوقها وتضغطها حتى تستخرج نحو ٧٠ في المئة مما تحتويهِ من العصارة وتصبّ تلك العصارة بالتوالي في خمسة مراجل من النحاس تُصفّى فيها تدريجًا ففي المرجل الاوّل يجعلون شيئًا من الكلس فينظّف العصارة من موادّها الزلالية لئلّا تختمر فيتركب الكلس مع الزلال ويرسب في المرجل امّا العصارة فتُغلى وتطفو وتسيل الى المرجل الثاني ثمّ الثالث فيزيدون غَليهُ حتى تتمّ تصفيتهُ ويخلص من عناصرهِ الاجنبيَّة . اما المرجل الرابع فيتركون فيهِ العصارة تنعقد فتصبح كالرُبّ فاذا رأوا طبخهُ كافيًا وانعقادهُ مُرضيًا يصبّونهُ في مرجل خامس ليجمد فيهِ تمامًا فيصلب بعد ٢٤ ساعة ويصير على شبه البلّورات المتحبّبة ويكون اذ ذاك مصفرّ اللون فاتح الصفرة . ومن الناس من يتّخذهُ على هذه الصورة قبل تصفيتهِ

(سكر الشمندر) يقتلعون الشمندر او البنجر عند نضجهِ ويقطعون اوراقهُ ورأس جذرهِ البارز فوق الارض فانّ تلك الاجزاء لا تحتوي سكرًا . ثم يغسلون الاصول الباقية في الماء ويجعلونها بعد ذلك في اسطوانة مسنَّنة يديرونها فتقطّع تلك الاصول وتنعمها حتى تضحي على شبه عصيدة ثم يجعلون العصيدة في اكياس يعبّون بعضها فوق بعض

ويضغطونها في مكبس مائي حتى تخرج عصارتها تماماً فما بقي من الاقراص تأكله المواشي واما العصارة فيصفّونها كما صفّوا عصارة القصب السكري بان يجعلوا فيها كمية من الكلس فيمتزج الكلس بالموادّ الغريبة ويرسب في قعر المرجل وتطفو العصارة ثم يكرّرون ذلك الى ان يصفو العصير السكري ثم يجرونهُ الى براميل واسعة حيث جعلوا مسحوقاً من الفحم الحيواني المركب من العظام المحرقة فيمتص المسحوق الموادّ الملوّنة ويسيل من تلك البراميل على شبه رُبٍّ فاتح اللون فيطبخون ذلك الرُّب ثم يجمدونهُ بالتبخير فيصير على شبه حبوب ناعمة متبلورة ذات لون اصفر

﴿ تمحيص السكر ﴾ قلنا انّ السكر سواء كان استخراجهُ من القصب او من الشمندر يكون على شكل حبوب ناعمة مصفرّة اللون وتعليل هذه الصفرة الموادّ الغريبة التي بقيت في السكر كشيء من الاملاح الكلسيَّة والبوتاسا والصودا والمنيسيا وبعض نفايات آلية وقليل من الرمل والتراب فهذه الاجسام تنفي عن السكر شيئاً من طعمه الطيّب ويكون طعم السكر القصبي ذا حموضة خفيفة وفي سكر الشمندر بعض قلويّة وكل ذلك يزول بالتمحيص بحيث يُصبح ابيض نقيّاً مجرّدًا عن كل مادّة اجنبيَّة

امَّا التمحيص فدونك وصفهُ: يعمدون الى السكر غير المنظّف فيجعلونهُ في خلقين ثم يصبُّون فوقهُ ماء على قدر ٣٠ في المئة من ثقلهِ ثم يسخنون الماء ويحركون فيهِ السكر فاذا حمي المزيج سكبوا فوقهُ من ٣ الى ٥ في المئة مسحوق الفحم الحيواني فيخلطونهُ بهِ الى ان يبلغ المحلول درجة الغليان. فحينئذٍ يكبُّون فيهِ ليترًا او ليترين من دم الثور لمئة ليتر من المحلول فانَّ في هذا الدم زلالًا اذا ما انعقد بقوّة الحرارة اجتذب اليهِ كل الموادّ الاجنبيَّة التي تطفو فوق المزيج على شكل رغوة فيصفو المحلول سريعاً بذلك ويجوز ان يُبدل دم الثور بموادّ منظّفة مثلهُ. اما مسحوق الفحم الحيواني فانهُ يمتص الموادّ الملوّنة للسكر مع العناصر الملحيَّة التي فيهِ وترتفع رغوتهُ السوداء على وجه المحلول

وبعد هذه العمليّات يُجرون المزيج المصفّى فوق طبقة من الفحم الحيواني المنعّم فيتخلّلهُ ويزيد بذلك تمحيصاً ثم يطبخونهُ ثانياً الى درجة معلومة ليجمد ويتبلور ثم يجعلونهُ في قوالب من الشكل المخروط رأسها منعكس فيهِ ثقب ذو صمامة. فبعد

يومين تنزع الصمامة ويسكبون على اقراص السكر نتيماً آخر من السكر المشبع الذي ينفذ في الاقراص دون ان يحللها لكنهُ يصفيها من كل ما بقي فيها من الجرائم والنفايات الغريبة ويكررون العمل مراراً ثم يتركون الاقراص في الهواء حتى يسيل منها المائع المسكوب وتجف تماماً ثم يعرضونها على النار في آنية مقفلة تُحمى الى الدرجة ٥٠ ليتمَّ بذلك تجفيفها فتتراصّ ولا تتفتت فتصلح للمبيع. ولا يختلف سكر القند عن السكر الاعتيادي الّا في استحضاره فانهم يتّخذون عصير السكر فيبالغون في طبخهِ ويجيدونهُ تجميداً بطيئاً ويتركونهُ ايّاماً في اوعية مقفلة يبلغون حرارتها الى الدرجة ٣٦ فيتبلور السكر تبلوراً ضخماً وهو القند

فكل هذه العمليّات تقتضي اهتماماً وعناء كبيراً وقد وصفناها بالاجمال لا يستدعي تنصيلها من الايضاحات والشروح الطويلة وفي بعض البلاد طرائق مستجدَّة في اصطناع السكر لم يمكنّا ان نتعرَّض لها. وللكيمويين في كل سنة اصلاحات وتحسينات في هذا الصدد امّا طلباً لجودة السكر واما بغيةً في توفيرهِ وتهويد اسعاره

❁ تجارة السكر ❁ ان تجارة السكر تلعب اليوم دوراً مهمّاً في ماليَّة الدول بل يصحُّ القول انّها غلبت بقيّة المحصولات برواجها ووفرة ارباحها حتى انَّ كثيراً من الدول تجد في تجارتها كنوزاً ماليّة تساعدها على تعديل ميزانيتها (١. فلذلك قد اثقلت باعة السكر بالضرائب دون ان تنز تحتها عواتقهم لما ينالون بواسطتها من الارباح. لكنَّ تلك الدول نفسها تخفّف تلك الضرائب اذا ما بيع السكر خارجاً عن تخومها لمزاحمة التجارة الاجنبيّة فترى مثلاً التجار الفرنسويين والالمان الذين يبيعون الكيلو من السكر بفرنك اذا اصدروهُ الى البلاد الاجنبيّة باعوهُ برُبع تلك القيمة. فبلغ غاية الدول ان تزيد سوق هذه التجارة رواجاً وتستدرَّ منها المكاسب الطائلة. ومن ثمَّ ترى محصول السكر يزداد سنةً بعد سنة حتى بلغ اليوم مبلغاً لا يكاد يصدّقهُ القارئ

---

١) راجع ما كتبتهُ في هذا الصدد مجلّتا المالين .Revue des deux Mondes, 1897, t) (140 والمراسل (Correspondant, 1902, p. 206) ومثلهما مجلة الابحاث الدوليّة والاستعماريّة (Quest. diplom. et colon., 1907) وقد اخذنا شيئاً من معلوماتنا عن هذه المنشورات

لولا ثبوتهُ باضبط الحسابات. ولدينا جداول مدقّقة لمحصولات السكر الدولية في السنة ١٩٠٦ فنستند اليها. ولا بُدّ ان تكون هذه الارقام قد زادت وارتفعت في الهنتين الأخيرتين

فمَّا يقال بالاجمال ان تجارة السكر منذ السنة ١٨٧٠ الى يومنا زادت ستَّة اضعاف فانَّ مجموع ما كانت الدول تصطنع منهُ في معاملها آنئذٍ كان يبلغ ٢,٦٠٠,٠٠٠ طنّ اعني مليارين و ٦٠٠ مليون كيلو وفي السنة ١٩٠٦ بلغ المحصول ١١,٣٧٢,٠٠٠ طنّ. فمن هذا المبلغ لاوربَّة الحصَّة الاوفى فانَّ معاملها اصطنعت منهُ ٦,٣٤٥,٠٠٠ طنّ والباقي قد صدر من بقيَّة القارات فبلغ ٥,٠٢٧,٠٠٠ طن

وان اعتبرت الدول الاوربيَّة وعارضتها ببعضها وجدت السبق لالمانية في اصطناع السكر فانَّها في السنة ١٩٠٦ استخرجت منهُ ٢,١١٥,٠٠٠ طن بزيادة ٥٠٠ مليون على العام السابق. وتليها النمسة التي استحضرت ١,٣٢٥,٠٠ طن بزيادة ٤٤,٠٠٠ طن على السنة ١٩٠٥. وكانت الثالثة في هذا النسباق دولة روسيَّة فبلغ مجموع سكرها ١,٠٠٧,٠٠٠ طن بزيادة ٨٦,٠٠٠ طن عن عام ١٩٠٥ وكانت فرنسة الرابعة فاصطنعت ٩٤٠,٠٠٠ طن بزيادة ٣٢٥,٠٠٠ على عامها السابق. وتبعتها بلجكة (٣١٧,٠٠٠ طن) ثم هولندة (١٨٦,٠٠٠ طن)

امَّا البلاد الخارجة عن اوربَّة فتصدَّرت بينها جزيرة كوبا التي بلغ سكرها ١,٣٠٠,٠٠٠ طن فهي الثالثة في العالم بوفرة سكرها بعد المانية والنمسة. ثم جزائر جاوة ثم تقاربها بوفرة سكرها الذي ناهز سنة ١٩٠٦ مليونًا من الطنَّات. يليها جزيرة هاواي (٣٧٠,٠٠٠) ثم البرازيل (٢٧٥,٠٠٠). امَّا معامل مصر فانَّها قبل ازمة السكر اصطنعت ٦٥,٠٠٠ طن

وان سألت اي دولة تتقدم على سواها في استعمال السكر اجبنا انَّها انكلترَّة التي ليس في بلادها معامل لاستحضاره فانَّ معدَّل ما يأكلهُ الانكليزيّ من السكر في السنة لا يقلّ عن ٤٤ كيلو ويليه الاميركيّ الذي يقطع منهُ ٣٠ كيلو ثم السويسري ٢٤ ك ثم الدنيمركي ٢٣ ك ثم الهولندي (٢٠ ك) ثم الاسوجيّ (١٨ ك) وهلمَّ جرًّا. على انَّ هذه الارقام تختلف كل سنة على حسب ما ترتفع اسعار السكر او تنقص. مثال ذلك فرنسة التي كانت جعلت ضريبة السكر ٦٤ فرنكًا على كل

مئة كيلو فانها في السنة ١٩٠٣ اهبطت جبايتهُ الى ٢٥ فرنكاً فقط فازدادت للحال قطعيّتهُ

واعلم انَّ بلاداً كثيرة ليست في حاجة الى السكر كغيرها لما تجدهُ من الثمار الطيّبة في جهاتها . فانَّ بلاد الشرق عموماً واصقاع اوربّة الجنوبيّة تستغني بذلك عن السكر الصناعي لانَّ الطبيعة قد خزنت هناك مقادير عظيمة من سكرها اللذيذ في كل اصناف الاشجار المثمرة فيجنيها اصحابُها ويستمدُّون منها سكرًا اشهى طعماً وألذ حلاوةً . فيقتضي عليهم ان يشكروا الخالق عن تلك المنَّة الجزيلة التي حُرمتها اجمالًا البلاد الشماليَّة

ومع هذا فانّنا نرغب لو سعى اهل بلادنا في انشاء معامل يجارون فيها الاوربيين لاصطناع السكر ولاسيما انَّ تربة هذه البلاد تغلّ لهم بوفرة القصب والشمندر اللذين منها يُستمدّ غالبًا السكر الصناعي ؛

المختار في كشف الاسرار

نظر الاب لويس شيخو اليسوعي

وصفنا قبل سنتين كتاباً عجيباً في بابهِ استوقف تعريفهُ نظر القرَّاء فاخذهم العجب من ذكاء صاحبهِ زيد كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة (المشرق ١٠: ٦٦١ و ١١: ٥٨٠، ١٠٧٩) لابن بسَّام فذكرنا نُتفاً من ابوابهِ في حِيَل المدلّسين وضروب غشّهم في المعاملات او المبايعات . وقد وقع الينا حديثًا مخطوط آخر لهُ علاقة مع التأليف السابق بيع قبل شهرين في بيروت فيما بيع من مكتبة المرحوم الاديب جبرا دلّال الحلبي اسمهُ « المختار في كشف الاسرار » يحتوي اموراً كثيرة من اسرار النصّابين ومكايد المدلّسين فأحببنا نقل شيء من مضامينهِ لقرّائنا تفكهةً للألباب وتحذيرًا لهم من خدائع المكّارين

(مؤلف الكتاب) يُدعى صاحب هذا الكتاب في صدر تأليفهِ زين الدين عبد الرحيم ابن ابي بكر الدمشقي الشهير بالجوبري . وقد دعاهُ الحاج خليفة في كشف

الظنون (ed. Flügel, V. 438) الشيخ الامام عبد الرحمان بن ابي بكر وسمّاه في محلّ آخر (Ibid. V: 202) «الامام الاوحد عبد الرحيم بن عمر الدمشقي الحرّاني» فعلى هذا البناء يكون اصلهُ من دمشق او بالحري من جوبر احدى قرى دمشق . ثم انتقل الى حرّان في ما بين النهرين . ولا نعرف شيئاً من بقيَّة اخبارهِ مع تحرّينا في هذا الامر والتفتيش البالغ . الّا انَّ في كتابهِ هذا اشاراتٍ تفيدنا عنهُ بعض الافادات فيؤخذ من مقدّمتهِ انهُ كان مدَّةً في خدمة السلطان مسعود بن محمود بن محمّد بن قرا ارسلان احد ملوك بني أُرتق وصاحب آمد (معجم البلدان لياقوت ١ : ٦٨) في اوائل القرن الثالث عشر للمسيح . وقد ذكر في فصول كتابهِ بلاداً كثيرة تجوَّل فيها فكان في حرّان سنة ٦١٣ (١٢١٦ م) وفي قونية في بلاد الروم سنة ٦١٦ (١٢١٩) وفي هندبار (ص ٥١ من نسختنا) والبلاد الهندية (ص ٦٤) وفي جدَّة والحجاز (٧٣ و٧٥) ويذكر اصحاباً لهُ اجتمع بهم كالشيخ قطب الدين الحلبي واعظ الديار المصريَّة (ص ٣٩) والشيخ سليمان المغربي في الحجاز (ص ٢١) . ويظهر انهُ عاش الى السنة ٦٢٩ (١٢٣٢ م) لانهُ ذكر وفاة رجلٍ ادَّعى الكرامات في ايَّام الملك الكامل وتوفي في تلك السنة (ص ١٩)

امَّا معارف الجوبري وآدابهُ فانَّها تظهر ممَّا قدَّمهُ على كتابهِ من مطالعة كتب الحكماء الاقدمين في الحِيَل والطلسمات والاسرار الخفيَّة والرموز ذكر منها قسماً صالحاً ثم تخطّى الى ذكر العلماء المتأخرين كابن سينا وابن وحشيَّة وجابر والخوارزمي وغيرهم مع عدَّة تآليف في فنون النواميس كحيَل بني موسى (اطلب المشرق ٩ : ٤٤٤) وكتاب ابن شُهَيد المسمَّى كشف الدكّ وايضاح الشكّ وغير ذلك من كتب الرمل والتنجيم مما يبلغ المئين عدّاً ليطّلع على تلك الاسرار فيكشفها . وفي كل ذلك ما يُشعر بذكاء المؤلف وسعة مداركهِ . وقد ألَّف في هذه الفنون كتباً ذكر منها في مقدَّمتهِ كتاب السراط المستقيم في علم الروحانيَّة وصناعة التنجيم (ورد اسمهُ في كشف الظنون ٤ : ١٠٢) وكتاباً على اصول علم الرمل وفروعهِ . فناهيك بهذه الافادات علماً بمقدرة المؤلف وطول باعهِ بفنون عصرهِ

(تعريف الكتاب) النسخة التي وقعت الى يدنا من هذا الكتاب حديثة الخط كُتبت بقلم عاديّ سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) صفحاتها ١٥٥ وفي كل صفحة ٢١

سطرًا واسم الكتاب في اوّله على هـذه الصورة «كتاب الدرّ المختار في كشف الاسرار» لكنّهُ دعاهُ في الختام «كتاب الكنز المختار في كشف الاسرار» وكذلك اختلف الحاج خليفة في تسميته فدعاهُ في باب الكاف (ed. Flügel,V: 202) «كشف اسرار المحتالين ونواميس الخيالين. ثم ابدل اسمهُ بعد ذلك فوسمهُ بالمختار في كشف الاسرار وهتك الاستار في علم الحيَل وهـذا الاسم اقرب الى الاسم الاصلي الذي في مقدّمة الكتاب «كتاب المختار في كشف الاسرار» ومنهُ عدّة نُسخ في خزائن كتب اوربة كباريس (Cat. des Mss. arabes de Paris, p. 736) وبرلين (V: 85-88) وليدن (III: 175) وڤيَنّة (II: 501-3) وقد اتّسع مصنّفو جداول تلك المخطوطات الاوربيّة في وصفه ولاسيما اهلورت (W. Ahlwardt) واصف مخطوطات برلين وفلوغل (Flügel) صاحب جدول مخطوطات ڤينّة فأثبتوا اقسامهُ وفصولهُ ملمعين بخطر الكتاب واهميته. وقد كان سبق هؤلاء العلّامة الهولندي الاستاذ دي غوي (de Goeje) سنة ١٨٦٦ فكتب في هذا التأليف فصلًا واسعًا في المجلة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG, XX, 485-515) واثبت مقدّمتهُ ونقل عنهُ بعض قطع تنويهًا بشأنه. ثم وقفنا منهُ على نسخة سقيمة طُبعت في مصر قبل عشر سنوات وكأنها خلاصتهُ لا تكاد تتجاوز نصفهُ فرأينا العود احمـد الى بيان مضامينه وقطف بعض منتخباته. والكتاب يتضمّن ثلاثين فصلًا وكل فصل يحتوي على عدّة ابواب. والنسخ تختلف في ترتيب الفصول وعدد الابواب. وقد وصف الحاج خليفة هذا الكتاب بما حرفهُ (٥: ٤٣٨): «المختار في كشف الاسرار للشيخ الامام عبـد الرحمن (عبد الرحيم) بن ابي بكر الجوبري مشتمل على ٣٠ فصلًا ومنها ما يشتمل على ابواب وعدّة الفصول والابواب ٢٦٦ . . . وهو كتاب غريب ليس لهُ نظـير في بابه اخذ على ما قالهُ مؤلفهُ في اوّله من ينبوع الحكمة والاسفار الخمسة وكتب الاوائل والاواخر من نحو الف وثلثمائة كتاب فهتك اسرار الكاذبين وكشف عورات المدّعين من كل قوم» وقد عاد الحاج خليفة الى ذكر هذا الكتاب في مواضع اخرى من كتابه وخصوصًا في باب الحيَل الساسانيّة

منتخبات من الكتاب

افتتح المؤلف كتابهُ بمكر الذين ادَّعوا النبوَّة فاتَّخذوا لاثبات دعوتهم ضروب الحيَل. وممَّن ذكرهم رَجُلٌ يعرف باسحاق الاخرس ظهر في اوَّل الخلافة العبَّاسيَّة ادَّعى النبوَّة وتبعهُ خلقٌ كثير وملك الى البصرة وعمان اقام عشر سنين في اصفهان ساكتاً كأنهُ اخرس حتى اذا كانت احدى الليالي صرخ صرخةً ازعجت الناس فاتوهُ واذا هو منتصب في المحراب يصلّي ويقرأ القرآن بصوت اطرب ما يكون ونغمة ألذّ من النسيم ثمَّ قصَّ على الناس الاقاصيص العجيبة فصدَّقوهُ وتبعوهُ واستفحل امرهُ حتى اذعن لهُ اهل البصرة وانتشر ملكهُ الى عمان. قال المؤلف: «ولم يزل كذلك حتى قُتل ولهُ شريعة بعمان الى يومنا هذا»

ثم ذكر رجلاً يسمَّى ابا سعيد اللحياني (ويروى: اللحاني والجيَّاني والجنابي) القرمطي ظهر سنة ٢٥٢ هـ (٨٧٤ م) وادَّعى النبوَّة وملك هجَر والبحرين وعمان ونهب وسبى وكان مع ذلك مريضاً قد بطل شقُّه الايسر (ويروى: الايمن) وكان اعرف الناس بنواميس افلاطون ودُعي بالقرمطي باسم رجل انتمى اليه ابو سعيد وقالوا بل نسبةً لقرية قرمطونه كان خرج منها. وقال فيه شاعرهُ القبطي الشيبانيّ قصيدة طويلة منها قولهُ:

> فمن لدى الوحي مكتوبٌ صحائفهُ منظَّم بكلام الله تنظيما
> ومن به الارض قد شدَّت مراكزها لولاهُ اصبح وجه الارض مظلوما

ذُبح ابو سعيد في الحمَّام سنة ٣٠٠ (٩١٣ م) وخلَّف عقباً ونسلاً عُرفوا من بعدهِ بالسادة

واعجب منها ما ذكرهُ الجوبريّ (ص ٨) عن رجل ظهر في مدينة تنيس في مصر على عهد المعزّ (ويروى: المعتزّ) اسمهُ فارس بن يحيى الساباطيّ قال: «سلك مسلك عيسى بن مريم واحيا الموتى وابرأ الابرص والاجذم والاعمى وبنى لهُ صومعة في البلد على البحر وهي باقية الى يومنا». ثم حاول المؤلف ان يبيّن شعوذة الرجل باصطناعهِ تلك المعجزات بيد انَّ شروحهُ لم تقنعنا فيزعم مثلاً انهُ اقام ميتاً على هذه الطريقة (ص ٨) قال:

وذلك انهُ كان فيلسوفاً فاخذ من كفن ذلك الميت الذي اراد ان يحييهُ جزءًا ومن حبّ النارجيل جزءًا ومن الجندبادستر جزءًا ثم جعلها فتيلة واوقدها قدام اهل ذلك الميت الذي قد أخذ من كفنهِ فخُيِّل لهم انَّ ميتهم قد قام من قبرهِ يمزّق اكفانهُ وهو على هيئتهِ فسألوهُ عمّا ارادوا فخُيِّل لهم انهُ يخاطبهم بما يسألونهُ عنهُ فحارت فيهِ الافكار

وهو شرح غامض لا يبيح بالسرّ وكان الاولى بالمؤلف ان ينكر موت الانسان .

وكذلك اراد ان يبيّن كيف السمك كان يطلع من البحر ويقبّل اقدامهُ فزعم انهُ «كان يلطّخ اقدامهُ بمعجون من السرقين والباذروج وحبّ القثاء مع دهن الياسمين فيمشي على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة الدواء ويلحس اقدامهُ . وهو ايضاً شرح لا يفي بالمرام ولا نظنّ انّ السمك يخرج من مائهِ اذا اشتمّ معجوناً كهذا . ومثلهُ الشرح الذي اردفهُ المؤلف ليكشف سرّ الرجل بشفائهِ البُرص فانهُ من الغرابة بمكان اذ زعم انهُ كان يأخذ اصول الكرفس ونعنع الماء ويدفنها في الزبل حتى يتولّد منها دود ابيض كان يلطّخ بهِ الناس فيظهر في جلدهم البرص ثم يزيلهُ بالشيطرج الهندي الطلي بالخلّ الحاذق . فانّ مثل هذه الشعوذات لا تخفى على الناس

ومثلهُ ايضاً ما اخبر عن راعٍ يهوديّ ظهر في جهات طبريّة وادّعى انهُ موسى وانهُ اتّخذ لهُ عصاً كان يسوق بها السباع والوحوش كما يسوق الغنم وانهُ كان يلقيها على الارض فتجري على مثال الثعبان فاذا كان الحرّ شديداً القى العصا «فاذا حميت سمت مثل الثعبان ولسانها يلعب» . وهو تفسير غريب لا يُقنع احداً . ولعلّ ذلك الراعي كان ساحراً كسحرة فرعون الذين اصطنعوا مثل هذه الاعمال بقوّة الشيطان فانّ السحر لا يُنكر وكفى دليلاً على وجودهِ ما تنقلهُ الجرائد عن السبيريتسم وعالم الاموات

ثم روى المؤلف انّ بعض هؤلاء النصّابين تمكّنوا بتركيبات ركّبوها وتدخينات اصعدوها من ان يعكّروا صفاء الجوّ ويحجبوا ضوء الشمس فاظهروا النجوم نهاراً .

وكذلك اخبر عن رجل في أيّام المأمون اسمهُ عبد الله بن ميمون «كان في سواد الكوفة واري الناس الخاريق من النارنجيّات ثم اراهم انشقاق القمر فاخرق عقولهم بدخانٍ اصعدهُ من رأس جمل ومخ سنّور وبعض الحشائش» . ولا نعلم ما في ذلك من الصحة

ويلي هذا الفصل فصلٌ آخر يشبههُ اودعهُ الكاتب اخبار المدَّعين المشيخة ممَّن يتظاهرون بالصلاح والكرامات وإنْ هم الَّا دجالون كذبة . وقد جعلهم المؤلف طبقات وقد ابتدأ بذكر الحسين بن منصور الحلّاج قال (ص ١١):

كان ظهر ببغداد سنة ٣٠٨ وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى عليّ بن عيسى الوزير فاحضره وضربهُ الف عصاً ثم فصَّل اعضاءهُ وقيل انهُ لم يتأوَّه وكان كلَّما قُدَّ منهُ عضو يقول:

وحرمة الودّ الذي لم يكُنْ يطمع في افسادهِ الدهرْ
ما نالني عند نزول البلا جهدٌ ولا مسَّنيَ الضرّْ
ما قُدَّ لي عضوٌ ولا مفصلٌ الَّا وفيهِ لكمُ ذكرُ

على انَّ المؤلف لم يبيّن في ذكر الحلّاج في ايّ شيء ركب الشطط . وقد بلغنا انَّ احد المستشرقين المدعوَّ لويس مسينيون (Mr L. Massignon) ألَّف كتاباً يكشف فيه القناع عن اخبار هذا الرجل وتعاليمه

ثم ذكر اعمال بعض المشايخ يخدعون بها السذَّج منها دخولهم في النار بعد ان دهنوا جسدهم بدهن ضفدع مسلوق اضافوا اليه شيئاً من البارود المسمَّى بالثلجيّ فلا تعود النار تضرُّهم . ويلطخون بهذا الدواء اصابعهم ثم يغمسونها بالنفط ثم يشعلونها كما يشتعل الشمع ولا يزالون يرقصون واصابعهم تشعل حتى يضجَّ الخلق ثم يدنو الرجل من الشمعة فيشعلها ويطفئ اصابعهُ . وبعضهم يتَّخذون قرعاً من اللبد الاحمر الطالقاني يجعلها على اصابعهِ ثم يسقيها بالنفط ويشعلها فلا يضرُّه . وبعضهم يأخذ الطلق المحاوب يُضيف اليه مغرة مدنيَّة وحشيشة الحيطم مع الكسبرة الخضراء .

وذكر بعد هذا شيوخاً يُظهرون الثمار في غير اوقاتها بان ينضجوها على طرائق شتى او يؤخروا زمن انضاجها فيأتون بها في غير فصولها . واخبر عن رجل يقال لهُ المقصود ظهر في دولة الملك العادل ابي بكر بن أيوب في دمشق « فادَّعى المشيخة وكان يظهر الثمار في اوقات لا يمكن ان توجد فيها فلمَّا استفحل امرهُ ادَّعى النبوَّة وانهُ عيسى ابن مريم فربط جماعة من كبار البلد ومن جملتهم اهل سوق المرسلين واهل المزّة وكفرسوسه . فلمَّا كثر الرهج فيه طاب ظاهر البلد ونزل بمكان يعرف بالصفصاف . فقيل لهم بنو الصفصاف وهو امرٌ مشهور بدمشق »

ثم روى عن بعضهم أنهم كانوا « يقيمون اربعين يوماً واكثر لا يأكلون ولا

يشربون ويدّعون انّ طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وانّ الله تعالى يبعث لهم من طعام الجنّة ؛ وقد زعم المؤلف أنهم كانوا « يروون عطشهم بسفوف من بزر الحبّة الحمقاء المسحوق المنقوع بالخلّ . او بسفوف آخر من كبد غزال عطشان مجفّف ومسحوق فاذا استفّهُ لا تطلب نفسهُ الماء » والله اعلم . واخبر قصة رجل يدعى أبا الفتح الواسطي فعل ذلك على بحر الاسكندريّة في زمانهِ سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) فاختبره صاحب البلدة عزّ الدين بلبان وحبسهُ في داره ستة اشهر فبقي تلك المدّة لا يشرب فبنى لهُ عزّ الدين زاوية وبها مات سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠م) . وذكر سفونات أُخرى لسدّ جوعهم

ثم قال (ص ١٩) : « ومنهم اخزاهم الله من يُنبع الماء من بين اصابعهِ وذلك انهم يأخذون الحصا الفراني ويخلطون معهُ حصا البارود الثلجي ثم يجعلهُ الشيخ السوّ في يدهِ ويشغل الناس ساعةً بالحديث فيقطر الماء من بين اصابعهِ فيذهل القوم ويتوهمون فيهِ الصلاح وهو بضدّ ذلك»

ثم ذكر الذين « يجمعون عددًا من الدود المعروف بالطيبوتة (اليراع او الحباحب) وهي التي تسرج بالليل في أيّام الربيع ثم يجعلونها في خرقة شعر رفيعة ويربطونها في جبينهم وطرفها تحت العمامة فيظهر نور عظيم يذهل العقول »

ثم انتقل الى ذكر « المشايخ الذين يأكلون الحشيش وهو من اعظم المسكرات فيجترحون المحظورات وينتهكون المحارم وقد جعل هؤلاء كراماتهم أكل النار والحيّات» قال ذلك ولم يكشف سرّ هذا العمل

وفي الفصل الثالث (ص ٢٨) تكلّم في اسرار كذَبة الوعّاظ الذين يتّخذون الوعظ احبولةً لاطماعهم وغاياتهم السخيفة كأبي زيد السروجي في المقامات الحريريّة . قال الجوبري :

انّ صناعة هذه الطائفة هي اجلّ الصنائع وهي اعلى مرتبة بني ساسان (يريد ارباب الخدع والمكر) . . . ومن دهائهم انّهم يصعدون المنبر بخشوع وسكينة فاذا شرعوا في الكلام وذكروا اهوال يوم القيامة وما اعدّ الله تعالى فيها للمجرمين يبكون بدموع أحرّ من الجمر فاذا ارادوا ذلك يأخذون الخردل يسحقونهُ ثم ينقعونه في الخلّ يومًا وليلة ثم يسقون بهِ المنديل الذي يمسحون بهِ وجوههم ويتركونهُ حتى يجفّ فاذا جفّ اخذهُ في كمّهِ فاذا حصل على المنبر واورد اهوال الآخرة مسح وجههُ بذلك المنديل فتنزل دموعه مثل المطر

ثم ذكر اتخاذهم نساءهم لغشّ الجمهور يتفقون معهنّ كما فعل السروجي

بعجزه السعلاة كشص ليصطاد بها هدايا الناس. ومما رواهُ المؤلف عن صديق لهُ كان في الديار المصرية اسمهُ قطب الدين «وكان من اظرف اهل زمانهِ واشدّهم خلاعة وكان معتكفاً على شرب الخمر، انهُ راهنهُ بان يأكل ويشرب الخمر على المنبر ويلعب بالطنبور. وفعل كلّ ذلك بحيل سروجيّة يطول وصفها دون ان يشعر الجمهور بخداعهِ

وقد خصّ المؤلف فصلاً (١ ليكشف فيهِ بعض حيَل نسبها للرهبان ألّا انَّ اكثر ما اوردهُ رواهُ عن سمع ليس عن عيان ولا ينطبق مع التاريخ الصحيح فمن ذلك ذكرهُ لدير الصنم قال (ص ١٢٠): «وفيهِ صنم من حديد واقف في قبّة بين الهواء والفضاء لا يسقط الى الارض ولا يرتفع الى فوق ولا يميل يميناً ولا شمالاً وقد ارتبط عليهِ الناس من الزنج والروم واليونان وجميع اجناس النصارى وهذا الصنم من صنعة الحكيم بلينيوس». قال الجوبري ذلك وبيَّن سرّ وضع الصنم بتركيب قِطَع من المغناطيس بحكمة التركيب والموازنة. (قلنا) لم يُعرف للنصارى دير يُدعى دير الصنم ومن المعلوم ان بلينيوس الحكيم كان وثنيًا فلم يمكن النصارى ان يكرموا صنماً من صنعهِ فضلاً عن انَّ التاريخ لم يذكر لبلينيوس اثراً كهذا. وزد على ذلك انَّ خبر هذا الصنم العجيب قد رواهُ القزويني في آثار البلاد (ص ٦٣) عن اهل سومناة المشركين في الهند ونقلناهُ عنهُ في مجاني الادب (٣: ٢٤١)

ومما نسبهُ الجوبري الى خدعة الرهبان زيتٌ يسيل بصنعة خفيّة في كنيسة صيدنايا امام صورة العذراء يتخذهُ الزوار للبركة في يوم عيدها. (قلنا) انّنا زرنا دير صيدنايا وكنيستها (اطلب المشرق ٩: ١٠٥٠) ولم نسمع بخبر هذا الزيت وخدعة الناس بهِ. كما انّنا روينا قصّة ايقونتهِ القديمة (المشرق ٨: ٤٦١) وليس فيها اثرٌ لهذا الخبر سوى ما ذكرهُ الراوي انهُ ظهر عليها شبه عرق لمّا وضعوها في مكانها. امّا الزيت فيأخذهُ الزوّار من عدّة قناديل تُوقد هناك ليلاً مع نهار على طول ايّام السنة

وذكر ايضاً الجوبري الانوار التي توقد يوم سبت النور في كنيسة القيامة في القدس وبيّن انَّ في ايقادها شعوذةً. ثم سعى في كشف السرّ. (قلنا) انَّ سرّ هذا النور قريب للادراك يوقد على طريقة طبيعيّة كما يقرُّ بهِ عقلاء الروم انفسهم فضلاً عن سواهم. ولعلَّ الذين اتّخذوا ذلك اوّلاً انّما اتخذوهُ كرتبة كنسيّة محضة جارية في كل

١) هذا الفصل هو الرابع في نسخ كثيرة وهو الرابع والعشرون من نسختنا

الطوائف النصرانيّة ثم زعم بعض الجهّال أنهُ نور سماويّ ووجد اهل المطامع في هذا الاعتقاد ربحاً فأجروا الرتبة سرًّا . وقد اثبت السيّد الاسقف الارثذكسيّ رفائيل هواويني في مجلة الكلمة (٤ : ٣٨٤ و٤٠٤ و٤٧٨) ثلث مقالات في هذا الصدد وختم قوله بأنْ ليس ثمَّ اعجوبة بل ذلك احتفال كنسيّ ورمز فقط يُشار به الى نور الايمان وقد اقترح (ص ٤٩٦) على الاكليروس الاورشليميّ بان يجروا بعض التغيير والتبديل في طريقة اتمام تلكَ الرتبة لئلّا يُخدع بها السذّج فقال ما حرفه :

ان هذا ممكن بل ضروري ايضاً وذلك بان يُلغى منها امر خلع البطريرك ملابسه الحبريّة ودخوله وحدهُ الى داخل القبر المقدس واقفال الباب وراءهُ ولاسيّما امر احتلائه ضمن القبر مدة غير معلومة من الزمان قد تطول في بعض السنين ثُلث ساعة او اكثر. فان جميع هذه الامور ممّا يوهم للناظرين كون البطريرك انما دخل الى القبر كي « يأتي بمعجزة » فينزل « كايليا النبي » ناراً من السماء على فتد الشمع الذي بيده. فبدلًا اذن من هذه كلّها نرى ان الأولى لدى الله والناس ان يدخل البطريرك الى القبر بملابسه الحبريّة بدون تاج ولا عكّاز وبدون ان تُغلَق ابواب القبر وراءهُ وبعد ان يسجد ويصلّي امام السيّد ينير فتد الشمع من نور القنديل المقدس ويخرج حالًا الى امام الشعب ويهتف نحوهم قائلًا :« هلمّوا خذوا نوراً مقدساً من القبر المقدس » فيتقدم الاساقفة فبقيّة الاكليروس بحسب درجاتهم ويشعلون شموعهم ثم هؤلاء يشعلون شموع الشعب بكل ترتيب ونظام ووقار واحترام »

فنعم القول وياليتهُ يجري قريباً بالعمل ليزول شكوك البعض في انَّ الاكليروس الارثذكسيّ بعمله يوهم الناس بانَّ هناك معجزةً حيث لا معجزة البتّة

(البقيّة لعدد آخر)

الأَبْدال

لحضرة الاب انستاس الكرملي

قد تكرَّر اسم الأبدال في كتب العرب وعلى الأخصّ في كتب الحديث واهل الطريقة من الصوفيين وغيرهم فاحببنا ان نفرد لذكرهم فصلًا نجمع فيهِ ما كتبهُ العرب في شأنهم مع نقد كلامهم

١ً تعريف الأبدال

ما الأبدال ؟ احسن تعريفٍ جوابًا على هذا السؤال هو اقدمهُ عهدًا . قال ابن الاثير في النهاية : « [ورد] في حديث عليّ رضه : الابدال بالشام هم الاولياء والعُبّاد . هذا هو احسن واقدم واصدق ما جاء عن هؤلاء الناس . وما مضت برهة حتى جاء اللغويون واصحاب الاشتقاق والتفريع والتفريق فاخترعوا التعاريف وفسّروا الاحاديث تفاسير غريبة واوّلوها تآويل جاءت كالتهاويل . فافترقت الآراء فرقًا في هؤلاء الصلحاء . ويا ليت لو قنعوا بما جاء في الحديث وبما اولهُ اثبت الائمة قدمًا في الوقوف على علوم العرب اعني بهِ الامام عليّ بن ابي طالب لكان بذلك غنى عن تباين الآراء وتعدّد الاقوال . فلقد زاد صاحب النهاية نفسهُ على كلام امير المسلمين ما نصّهُ : « الواحد بِدْلٌ كحِمْل واحمال . وبَدَلٌ كجَمَل وأجمال . سُمّوا بذلك لانهم كلما مات واحدٌ منهم أُبدِلَ بآخر » اه

ففي هذا الكلام نظران اولًا قولهُ : « الواحدُ بِدْل كحِمل وأحمال وبَدَل كجَمَل وأجمال » ولم يذكر غير هذين المفردَين . ففي هذا الاقتصار تقصيرٌ ونقصٌ وإخلال . فالذي عليه اغلب مشاهير جماهير اللغويين واصحاب الحديث واخبار الانبياء والاولياء والسِيَر النبويّة ان مفرد الأبدال بَديل مثل شريف واشراف . وإنْ ذهبوا الى انهُ قد يكون مفردهُ ايضًا بِزان حِمْل وجَمَل فهذا لا يمنع ذاك . ومن جملة ادلّتهم على قولهم هذا الذي ظهر انهُ الاصح مجيءُ البُدَلاء جمعًا بمعنى الأبدال فيكون ابدًا من قبيل شريف وأشراف وشرفاء . وفي دواوين اللغة امثلة لا تحصى من هذا الوزان وجماعهِ

هذا ولا تتصور ان ابن الاثير هو اول من ذهب الى هذا الرأي . فقد سبقهُ اليه غير واحدٍ . فعلى مجراهُ جرى صاحب القاموس وتاج العروس ولسان العرب والصحاح وابن دُرَيد وابن السكيت وغيرهم . امّا الآخرون فلم يزيدوا شيئًا على ما جاء في كلام الاقدمين . ومن هؤلاء الطيبي في شرح المشكاة : « الأبدال بالشام . والنجباء بمصر والعصائب بالعراق (١ : وهم الاولياء والعُبّاد » اه وكذلك سكت عن اصل

١) وفي التاج : روى ابن شميل بسندهِ حديثًا عن عليّ كرّم الله وجههُ انهُ قال : « الأبدال بالشام . والنُجَباء بمصر . والعصائب بالعراق » . اه

اشتقاق هذه اللفظة من مشهور معنى مادّة الـ « بدل » ابن شميل والزمخشري (١ وغيرهما حاذين في ذلك حذو عليّ بن ابي طالب

واما النظر الثاني في كلام ابن الاثير فهو في قوله : « سُمّوا بذلك لانهم كلّما مات واحدٌ منهم أُبدِلَ بآخر (٢ » . فهذا كلام محمول على ظاهر لفظ الابدال دون حقيقته فلا يشفي غليلاً . والدليل ان جميع اصحاب الاخبار لم يتفقوا على عددهم كما ستراهُ دُوَيْنَ هذا وفي محلّه . فلا بُدَّ من وجود وجه آخر لتخصيص هؤلاء الاقوام الفضلاء بهذه التسمية وتمييزهم بها عمّن سواهم

٣ معنى لفظة الأبدال

أصحُّ رايٍ عندنا ان الأبدال جمع بديل . وبديل هذه من مادةٍ منقود معناها في العربيَّة بهذه الحروف الثلاثة « ب د ل » وموجود في سائر اخوات لغتنا هذه الشريفة . وهي فيهنَّ بمعنى انقطع وبان واعتزل الناس من (בדל) فيكون معنى البديل : المنقطع (عن الدنيا الى عبادة الله) والبائن (عن الناس) والمعتزل (اياهم) والمنفرد (عنهم إرضاءً لوجههِ الكريم) فحينئذٍ « وحينئذٍ لا غير » يكون البدلاء بمعنى الأولياء والعباد والصلحاء والنسّاك الى ما يضاهي هذه المعاني

واذا كانت مادة « ب د ل » منقودة بهذا المعنى في لغتنا فهي موجودة فيها ببعض ابدالٍ بصورة « ب ت ل » ومنهُ البَتْل : القَطْع . وتبتَّل الى الله : انقطع اليه وانفرد لهُ في طاعتهِ وافردها لهُ . وفي اللسان : التبتُّل الانقطاع عن الدنيا الى الله تعالى . وكذلك

---

١) في اساس البلاغة : « وهو من الابدال اي من الزُهّاد » . ولم يزد على القدر

٢) وفي سفينة الراغب (ص ١٠٧) : « قال الشيخ (نصير بن الفتح) انما سُمّوا أبدالاً لانّهم بدل من الانبياء والصدّيقين والشهداء الذين هم اصحاب رسول الله صلعم من المهاجرين السابقين الأوّلين والانصار في ان يصرف الله بهم العذاب عن اهل الارض بمصابهم » . انتهى المُراد من ايراده

وفي كتاب المعتقد لليافعي : « انما سُمّيَ الابدال ابدالاً لانّهم اذا غابوا تُبدَّلُ في مكانهم صورٌ روحانية تخلفهم » . وبنى على ذلك ما حُكي عن الشيخ مفرج الدماملي انهُ رآهُ بعض اصحابهِ يوم عَرَفَة بعرفة ورآهُ آخر في مكانهِ من زاويتهِ بدماميل . الى آخر الحكاية

التبتيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة : قد تبتَّل اي قطع كل شيء الّا امرَ الله وطاعتهُ . وقال ابو اسحاق: وتبتَّل اليهِ اي انقطع اليه في العبادة » اه عن التاج وغيرهِ

ولا نعلم كيف فُقِـد معنى مادَّة « ب د ل » وبقي كلُّهُ محصورًا في « ب ت ل » الّا ان يكون من آثار لغة بعضهم . وتلك اللغة كانت شائعة ذائعة عند كثيرين منهم يبدلون فيها الدال من التاء (راجع مقالاتنا اللغوية في المشرق في مواضع شتّى منهُ) . والّا لا يُفهَم هذا الابدال الغريب المخالف لاوضاع سائر ما جاء في اللغات الاخوات

او لعلّهم فعلوا ذلك حينما اماتوا لفظة « بتيل » فخصُّوا تلك بالاناث وهذه بالذكور وان لم تكن هذه بمعنى الاوَّل بجميع دقائق معناها. والدليل على قولنا هذا ان كلمة « بتيل » ومثالها: « بتول » وهي الشيرى و « بتيلة » لم تجئ في كلام العرب الفصحاء الاقدمين منهم الّا للمؤنث (١

واما اذا ارادوا ان يصفوا الرجل بالتبتُّل اتّخذوا لفظـة أُخرى وقالوا : « الحَصُور » ومنهُ قولهم: « يوحنا الحصور » كما نسميه نحن النصارى « يوحنا المعمدان » او قالوا: « الصَّرُور » وفيها لغات وهي: « صَرُورة بالهاء [وان كانت للمذكر] . وصَرارة كسحابة وصارورة كقارورة وصارور بغير هاء . وصَروري وصاروري وكلاهما بياء النسب [وان ليس في المعنى نسبة] . وصارُوراء كعاشوراء . والمشهور من كل ذلك: صَرُور وصَرُورة . وفي الحديث: « لا صَرورة في الاسلام » وفسره ُ ابو عُبَيـد بانهُ التبتُّل وترك النكاح فجلهُ اسمًا للحدث يقول: « ليس ينبغي لاحدٍ ان يقول لا اتزوَّج . يقول: ليس هذا من

١) واما المتأخرون ولاسيما نحن النصارى فقد استعملناها ايضاً للمذكر . فقد سمَّينا مثلًا يوحنا الحبيب: « يوحنا البتول » ايضاً . وهو منافٍ لاستعمال العرب . لانهم قد يحصرون وزنًا او صيغةً بمعنًى من المعاني فلا يعودون يتجاوزونهُ . وان كان القياس يجيزهُ لهم ويُبيحهُ ولهذا قالوا في هذا الصدد: « ما كلُّ ما يُقاس يُقال » لان القياسيَّ قسمان: قياسي مطَّرد وقياسي سماعي . وليس هنا محل ذكرهما . ومن القياسي السماعي وزنا فعيل وفعول . ومنهما هذان الحرفان بَدِيل وبتول . والسماع حجة على من لا يحفظ حجة كما صرَّح بهِ صاحب التاج في عـدَّة مواطن من كتابهِ . وفي القياسيَّات السماعية صيغة المبالغة وافعل التفضيل وغيرهما . وهذا الامر مشهور عندهم وقد عقـد لهُ النحاة اللغويون ابوابًا مذكورة في كتبهم فاطلبها في مظانّها تُصِبْ ان شاء الله تعالى

أخلاق المسلمين وهذا فعل الرهبان. وهو معروف في كلام العرب ومنهُ قول النابغة:

لو انَّها عرضت لاشمط راهب عبد الإله صرورة متعبّدِ

يعني الراهب الذي قد ترك النساء . . . » اه عن التاج

٣ مرادفات الابدال ومحل وجودهم

جاء في « كتاب الخبر الدال على وجود القُطْب والأوتاد والنجباء والأبدال » لجلال الدين السيوطي (ومنهُ نسخة خطيَّة في خزانة كتب الملك الظاهر في دمشق الشام) ص ٧ « ان عليّ بن ابي طالب قال : الابدال من الشام . والنُّجباء من اهل مصر . والاخيار من اهل العراق ». وقال في ص ٨ نحو الآخر : « عن النبي صلعم قال : ان دعامة أُمتي عَصَبُ اليمن . وابدال الشام ». وقال في ص ١٨ : « مسكن النقباء المغرب . ومسكن النجباء مصر . ومسكن الأبدال الشام . والأخيار سيَّاحون في الارض . والعَمَد في زوايا الارض . ومسكن الغَوْث مكة » اه

وفي مجموعة رسائل ابن عابدين (ج ٢ ص ٢٧٠ من طبعة الاستانة) ما يُقارب هذا الكلام . وكذلك في سائر الرسائل التي ورد فيها ذكر الأبدال يُضاف اليها ما اثبتنا في المشرق (١١ : ٨٦١) سابقاً فليُراجع

٤ عدد الأبدال

لم تتَّفق اقوال النقلة والمحدثين والكتبة في عدد الابدال فقد قال السيوطي في الخبر الدال (ص ٧ من نسخة المكتبة الظاهريَّة) بعد ايراد اسماء اصحاب الاسانيد الواحد بعد الآخر: « البُدَلاء اربعون رجلاً . اثنان وعشرون بالشام . وثمانية عشر بالعراق . كلَّما مات منهم واحد ابدل الله مكانهُ آخر . فاذا جاء الامر قُبِضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة ». ثم نقل حديثاً آخر (ص ٨) وعَنْعَنَهُ حتى اوصلهُ الى صاحب الشريعة وقال : « قال رسول الله صلعم : الأبدال اربعون رجلاً واربعون امرأة . اخرجهُ الديلمي في مسند الفردوس . ونقل حديثاً ثالثاً واوردهُ (ص ٩) فقال : « الابدال بالشام وهم ثلاثون رجلاً على منهاج ابرهيم كلَّما مات رجل ابدل الله مكانهُ آخر . والعُصَب [جمع

عُصْبَة] بالعراق اربعون رجلاً كلما مات رجل ابدل الله مكانهُ آخر. عشرون منهم على اجتهـاد عيسى بن مريم وعشرون منهم قد أوتوا مزامير آل داود . حديث عبادة بن الصامت ». ثم جاء (في ص ١٠) بحديث رابع فقال: «قال رسول الله صلعم: الابدال في أُمتي ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم تُمطَرُون وبهم تُنصرون » اه. وقال (في ص ١٢): قال رسول الله صلعم: ان لله عزَّ وجلَّ في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عَم. ولله في الخلق اربعون قلوبهم على قلب موسى عَم. ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابرهيم عَم. ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عَم. ولله في الخلق واحد قلبهُ على قلب اسرافيل. فاذا مات الواحد ابدل الله من الثلاثة. واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانهُ الخمسة. واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانهُ من السبعة. واذا مات من السبعة ابدل الله مكانهُ من الاربعين. واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانهُ من الثلاثمائة. واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانهُ من العامَّة. فبهم يُحيي ويُميت. ويُمطِرُ ويُنبت. ويدفع البلاء. قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يُحيي ويُميت؟ قال: لانهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون. ويدعون على الجبابرة فيُقصَمون. ويَستسقون فيُسقَون. ويسألون فتنبت لهم الارض. ويدعون فيرفع بهم انواع البلاء. اخرجهُ ابن عساكر » اه

وقال (في ص ١٧): « أثر عن الحسن : اخرج ابن عساكر عن الحسن البصري قال: لن تخلو الارض من سبعين صدّيقًا وهم الابدال. لا يهلك منهم رجل الَّا اخلف مكانهُ مثلهُ. اربعون بالشام. وثلاثون من سائر الارض » اه

وقال في تلك الصفحة: « أثر عن قتادة: اخرج ابن عساكر عن قتادة قال: لن تخلو الارض من اربعين بهم يغاث الناس وبهم يُنصرون وبهم يُرزَقون . كلَّما مات منهم احد ابدل الله مكانهُ رجلًا. قال قتادة: والله اني لارجو ان يكون الحسن منهم » اه

وقال: « أثر عن شهر: اخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال: لم تبقَ الَّا وفيها اربعة عشر يدفع الله بهم عن اهل الارض ويخرج بركتها الَّا زَمَنَ ابرهيم كان وحدهُ » اه

وقال: « أثر عن ابي الزاهريَّة ومن بعده (ص ١٨): اخرج ابن عساكر عن ابي

الزاهرية قال: الابدال ثلاثون رجلاً بالشام، بهم تُجارُون، وبهم تُرزَقون. اذا مات منهم رجل ابدل الله مكانهُ. واخرج عن الفضل بن فُضالة قال: الابدال بالشام: في حمص خمسة وعشرون رجلاً، وفي دمشق ثلاثة عشر، وبِبَيْسان اثنان [فيكون عددهم على هذا القول اربعين]. واخرج عن ابن يحيى الحشني قال: بدمشق سبعة عشر نفساً وبيسان اربعة. [= ٢١]. واخرج ابن ابي خثمة وابن عساكر عن ابن شودب قال: الأبدال سبعون فستُّون بالشام وعشرة بسائر الارض. واخرجا من طريق عثمان بن عطاء عن ابيه قال: الابدال اربعون انساناً. قلتُ لهُ: اربعون رجلاً ؟ — قال: لا تقل اربعون رجلاً. ولكن قُلْ: اربعون. ولعلَّ فيهم نساء. واخرج ابن عساكر من طريق احمد بن ابي الحواري قال: سمعتُ ابا سليمان يقول: الأبدال بالشام. والنجباء بمصر. والعُصَبُ باليمن. والاخيار بالعراق. واخرج هو والخطيب من طريق عبد الله بن محمد العبدي قال: سمعت الكتَّانيَّ يقول: النقباء ثلاثمائة. والنجباء سبعون. والبدلاء اربعون. والاخيار سبعة. والعمد اربعة. والغوث واحد. فمسكن النقباء المغرب. ومسكن النجباء مصر. ومسكن الابدال الشام. والاخيار سيَّاحون في الارض. والعمد في زوايا الارض. ومسكن الغوث: مكة. فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء. ثم النجباء. ثم الابدال. ثم الاخيار. ثم العمد. فان أُجيبوا والَّا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلتهُ حتى تُجابَ » اه

واذا اردنا ان نتتبَّع سائر الاقوال فهذا يطول بنا. وقد اجتزأنا بما ذكرنا إشارة الى ان الاقوال في عدد الابدال مما لم يتَّفق عليه اهل النقل والتحقيق. وبذلك كفاية. على اننا لا يجوز لنا ان نجوز هذا الباب ما لم نذكر حديثاً ينقلهُ اغلب اصحاب الطرائق والمحدِّثين وهو هذا نقلاً عن السيوطي في الكتاب المذكور (ص ١٩ — ٢٠): « ... عن ابي عمر النصيبي قال: خرجت اطلب مسئلةً من مصقلة بالشام [مصقلة باسم : زاهد] وكان يقال انهُ من الابدال. فلقيتهُ بوادي الاردن فقال لي: ألا اخبرك بشيء رأيتهُ اليوم في هذا الوادي ؟ فقلتُ: بَلى. قال: دخلتُ فاذا انا بشيخ يُصلي الى شجرة. فأُلقيَ في رَوْعي انهُ الياس. فدنوت منهُ فسلَّمت عليه فردَّ عليَّ. فقلتُ: من انت يرحمك الله ؟ قال: انا الياس النبي. قلت: يا نبيَّ الله هل في الارض اليوم من الابدال احدٌ. قال:

نعم هم ستّون رجلًا : منهم خمسون فيا بين العريش الى الفرات . ومنهم ثلاثة بالمصيصة . وواحد بانطاكية . وسائر العشرة في سائر امصار العرب » اه

• الابدال الاقدمون والابدال المسلمون

الابدال على ما يتبيَّن من تحقّق المسلمين طائفتان : طائفة كانت قبل الاسلام . وطائفة بعد الاسلام . امّا انهُ وُجد ابدال قبل الاسلام فهــذا ممّا لا ينكرهُ احدٌ من علماء المسلمين . ومن الادلّة على هذه الحقيقة :

١ً انهم يعتبرون الخليل البديل الوحيد في عهدهِ الى آخر تلك الاقوال فراجعها في كتاب الخبر الدالّ للسيوطيّ (١

٢ً ان نبيّ المسلمين ذكر الابدال وان منهم من في ديار الشام ومنهم في مصر وجماعة في العراق وطائفة في بلاد العرب مع انهُ لم يكن يومئذٍ الاسلام منتشرًا في تلك الربوع والآفاق فوجب اذًا وجودهم قبل ذلك العهد . وهذا ممّا لا يُمارَى فيه

وأمّا وجودهم بعد الاسلام فيتّضح ممّا نقلهُ المحدثون في كتبهم . فقد جاء في الحديث نقلًا عن ابن ابي الدنيا في كتاب السخاء : « حدَّثنا اسماعيل بن ابرهيم بن بسّام : حدثنا صالح المرّيّ عن الحسن : ان رسول الله صلعم قال : ان بدلاء أُمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة انفسهم » . اه

---

١) واجتماع لفظة الابدال مع كلمة الياس كثير الورود في كُتُب المسلمين ممّا يدل قدم هذا الرأي وان الخضر الياس رأسهم . فممّن ذكر ذلك غير السيوطيّ جماعة المتصوّفة وطائفة من كتبة التاريخ المحققين منهم مثلًا القرمانيّ فقد قال في كلامهِ عن الياس النبي : « ورُوي (اي عن نبيّ المسلمين) ان الابدال يتسمون بهِ (اي بالياس) » (راجع المشرق ١١ : ٨٩) . وجاء في كتاب خطّي محفوظ في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت في الورقة الثالثة والخمسين في الفصل الثامن والعشرين في كلام المؤلف عن الانبياء : « . . . وذلك قولهُ تعالى في القرآن : ان اسمعيل واليسع وذا الكفل كلّ من الاخيار » وقد بيّن في أثناء كلامهِ ان المراد بالاخيار ما ذكرناهُ سابقًا عن السيوطيّ اي الابدال . وفي كتاب العرائس للثعلبي : « قلتُ (اي الراوي الذي رأى الياس النبي في الاردن على ما رواهُ الثعلبي) : كم الأبدال ؟ قال : ستّون . . . اه فاننا نرى من هذا الكلام ان الرجل يسأل النبي عن الابدال ممّا يدل على ان لالياس نسبةً تُذكر مع الابدال اذ قد وجدنا ان حيثما يُذكر الابدال يُذكر ايضًا الياس والخضر وبالعكس ايضًا

وهذا كلام يُشعر بان البدلاء غير المسلمين يدخلون الجنة بكثرة صلاتهم وصيامهم وانهم مشهورون بهاتين المزيّتين

• وعن ابي هريرة قال: دخلت على النبيّ صلعم فقال لي: يا ابا هريرة. يدخل عليّ من هذا الباب الساعة رجلٌ من احد السبعة الذين يدفع الله عن اهل الارض بهم. فاذا حَبشيّ قد طلع من ذلك الباب أقرع اجدع على راسهِ جرّةٌ من ماء. فقال رسول الله صلعم: يا أبا هريرة: هو هذا. وقال رسول الله صلعم ثلاث مرّات: «مرحباً بيسار» وكان يرشّ المسجد ويكنسهُ. [وكان] غلاماً للمغيرة بن شعبة ». اه نقلهُ بحرفهِ عن كتاب الخبر الدالّ (ص ١٥)

وقال الطبراني في «الاوسط»: «عن انس. قال رسول الله صلعم: لن تخلو الارض من اربعين رجلاً مثل خليل الرحمان فيهم تُسقَون وبهم تُنصرون. ما مات منهم احدٌ الّا ابدل الله مكانهُ آخر. قال عبادة: لسنا نشكُّ ان الحسن منهم» اه (يريد بالحسن الحسن بن عليّ بن ابي طالب)

• وعن ابن منه قال: رأيتُ رسول الله صلعم في المنام. فقلتُ لهُ: يا رسول الله اين بُدلاء أمّتك؟ فأومأ بيده نحو الشام. قلتُ: يا رسول الله أمَا بالعراق منهم احدٌ؟ قال: بَلَى. محمّد بن واسع وحسّان بن ابي سنان. ومالك بن دينار. والذي يمشي في الناس بمثل زُهد ابي ذرّ في زمانه». اه عن الخبر الدال (ص ٢٢) بحرفهِ

وفي كفاية المعتقد لليافعي (ص ٢٣): «عن بعض اصحاب الشيخ عبد القادر رضه قال: خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلةً فناولتهُ إبريقاً فلم يأخذهُ. وقصد باب المدرسة فانفتح لهُ الباب فخرج وخرجتُ معهُ. ثم عاد الباب مُغلقاً. ومشى غير بعيد فاذا نحن في بلدٍ لا اعرفهُ. فدخل فيه مكاناً شبيهاً بالرباط. واذا فيه ستّة نفر. فبادروا الى السلام عليه والتجأتُ الى سارية هناك وسمعتُ من جانب ذلك المكان أنيناً. فلم يلبث الّا يسيراً حتى سكن الأنين. ودخل رجل وذهب الى الجهة التي سمعت منها الأنين. ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه. ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشيخ الشهادتين وقصّ شعر رأسه وشاربه وألبسهُ طاقيّةً وسمّاه «محمّداً». وقال لاولئك النفر: قد امرتُ ان يكون هذا بدلاً عن الميت. قالوا: سمعاً وطاعةً. ثم خرج الشيخ وتركهم. وخرجتُ خلفهُ ومشينا غير بعيد

فاذا نحن عند باب بغداد. فانفتح كأوّل مرّة. ثم اتى المدرسة فانفتح لهُ بابها ودخل دارهُ فلمّا كان الغدُ اقسمت عليهِ ان يبين لي ما رأيتهُ. قال: امّا البلد فنهاوند. وامّا الستّة فهم الأبدال. وصاحب الأنين سابعهم كان مريضاً. فلمّا حضرت وفاتهُ جئت احضرهُ. واما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً فابو العبّاس الخضر عليهِ السلام ذهب بهِ ليتولّى امرهُ. وامّا الرجل الذي اخذت عليهِ الشهادتين فرجل من اهل القسطنطينيّة كان نصرانيًّا وامرتُ ان يكون بدلًا عن المتوفّى فأُتي بهِ فأسلم على يديَّ وهو الآن منهم » اه بحرفهِ

ومثل هذه الحكايات كثير في كتبهم من تحويل الالفاظ عن اصل وَضعها ونقلها الى اوضاع أخرى حديثة. فمن كان يظنُّ ان المراد بالخضر ابو العباس ؟. ومع ذلك فالنص واضح لا إشكال ولا وهم في قراءتهِ (١

٦ صفات الابدال المسلمين

قال سهلُ بن عبد الله: « صارت الابدال ابدالًا باربعة: قلّة الكلام. وقلّة الطعام. وقلّة المنام. واعتزال الانام ». واخرج ابو نعيم في الحليـة عن بشر بن الحارث انهُ سئل عن التوكُّل فقال: « اضطرابٌ بلا سكون: رجل يضطرب وقلبهُ ساكن الى الله لا الى عملهِ. وسكون بلا اضطراب: رجل ساكن الى الله بلا حركة. وهو عزيز وهو من صفات الأبدال » اه

وأخرج (ابو نعيم المذكور) عن معروف الكرخي قال: « من قال كل يوم عشر

---

١) وقد عرّف الصوفيةُ الابدال غير ما عرّفهم الاقدمون من الحفّاظ والمحدّثين والرواة فقد نقل السيّد الجرجاني عن كتبهم ما هذا حرفهُ: « البدلاء هم سبعة رجال مَنْ سافر من موضع وترك جسدًا على صورتهِ حيًّا بحياتهِ ظاهرًا باعمال اصلهِ بحيث لا يَعرفُ احدٌ انهُ فُقد. وذلك هو البدل لا غير وهو في تلبُّسهِ بالاجساد والصُوَر على صورتهِ على ابرهيم عم ». اه وقد عرّفهم محيي الدين بن العربي ما يشبهُ هذا التعريف . ولفظة الابدال يعرفها اليوم مسلمو بلاد فارس والهند وتركستان. وهؤلاء كلهم يجهلون مفردها تمام الجهل . فيسمون الواحد « أبدالًا » كما يسمون الجماعة منهم « أبدالًا » ايضاً. وصوفية فارس يسمون الابدال باسم فارسي آخر وهو « ديوانَه خُدَا » اي: « مجنون الله » ويطلقونهُ على كل مجذوب من اولئك المجاذيب الذين يجولون الطُرُق بالعري التام. والترك يزيدون على ما تقدّم ذكرهُ من الالفاظ كلمتين وهما: « آتا » و « طورلاق »

مرات: « اللهمَّ اصلح امة محمد. اللهمَّ فرّج عن امة محمد. اللهمَّ ارحم امة محمد »
كُتب من الابدال. واخرج عن ابي عبد الله النباجيّ قال: ان أحببتم ان تكونوا ابدالًا
فأحبّوا ما شاء الله. ومن احبَّ ما شاء الله لم ينزل به من مقادير الله شيء الَّا احبَّهُ » اه

وفي كتاب سُنن الصوفيّة في حديث سلسلة الى صاحب الشريعة الاسلامية قال:
« قال رسول الله صلعم: ثلاثٌ من كنَّ فيه فهو من الأبدال الذين بهم قوامُ الدُّنيا
واهلُها الرضى بالقضاء. والصبر عن محارم الله. والغضب في ذات الله ». اه

فالأبدال على هذين القولين الاخيرين كثيرون لا يُعدُّون ولا يُحصَون

وقال ابن ابي الدنيا: « لمَّا ذهبت النبوة وكانوا « اوتاد الارض » اخلف الله
مكانهم اربعين رجلًا من امة محمّد صلعم يقال لهم الأبدال. لا يموت الرجل منهم
حتى يُنشئ الله مكانهُ آخر يخلفهُ. وهم اوتاد الارض. قلوب ثلاثين منهم على مثل
يقين ابرهيم لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشُّع ولا
بحسن الحلية. ولكن بصدق الورع وحسن النيَّة وسلامة القلوب والنصيحة لجميع
المسلمين ابتغاء مرضاة الله بصبرٍ وحبر ولبّ حليم وتواضع في غير مذلّة. لا يلعنون احدًا
ولا يؤذون احدًا. ولا يتطاولون على من كان تحتهم. ولا يحقرونهُ ولا يحسدون احدًا
فوقهم. ليسوا بمتخشّعين ولا متماوتين ولا معجبين. لا يُحبُّون لدنيا ولا يُحِبُّون لدنيا.
ليسوا اليوم في وحشة وغدًا في غفلة » اه

خلاصة القول

يظهر ممَّا سبق من الشواهد والاقوال المتباينة انَّ الابدال قومٌ من الصالحين الزُّهَّاد
في العالم سبق عهدهم الاسلام بزمن طويل حتى زمن بني اسرائيل ثم تتابعوا الى زمن
الاسلام. وقد تبعوا الانبياء في اجتهادهم وزهدهم لاسيما النبي ايلياس. ومنهم من كانوا
على طريقة السيّد المسيح وهم عندنا النسّاك والرهبان الذين عرفهم العرب حقَّ المعرفة
وكثيرًا ما ذكروهم في اشعارهم واخبارهم

الالفاظ السحريّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٥ً التساهل

من بلايا الصحافة الحديثة انَّها ادرجت في معجمها الناطق تعظُم في النفوس اوهامُها او تستشفُّ العقول من ورائها الاهوال فاذا اراد العاقل ان ينتقد معانيها ويعرف حقيقتها وجد نفسهُ مخدوعاً بالظواهر مستسلماً للخياليَّات الباطلة على مثال الذين يسرون في الليل الدامس او في مجاهل البلاد فانَّهم اذا لاح لهم سواد او شبحٌ عن بعد ظنُّوهُ عدوًّا واوجس قلبهم فزعًا فاخذوا منهم حذرهُ. فاذا قربوا منهُ ظهرت لهم اشباح بلا ارواح فضحكوا من روعهم

وممَّا يكرّرهُ اليوم كتبتنا في اكثر الجرائد انَّ روح العصر يقضي بالتساهل وينفي التعصُّب. فاذا رأوا احدًا يحافظ على مبدإ شرعي او يلزم قوانين البلاد او يدافع عن نظام السلطة او يستمسك بعُرى البرّ والصلاح نبزوهُ بلقب المتعصب. وعلى عكس ذلك ينسبون الى التساهل من رأوهُ ساعيًا في مجاملة الناس حريصًا على مسايرتهم مضحيًا للحظوى برضاهم كل مبدإ وفريضة

ويبلغ جلبة هؤلاء الكتبة حدودها القصوى اذا رأوا قومًا مستعصمين بحبل التُّقى يغلّبون دينهم على دنياهم ويدافعون عنهُ دفاعهم عن النفس والنفيس فيرون انَّ ذلك عين التعصُّب وينسبون فعالهم الى مغالاة عمياء في الدين

وان عادوا بالنظر الى القرون السابقة صرخوا بالويل والثبور وكرَّروا تكرارهم للحقائق الراهنة انَّ الشرور والمفاسد والفتن والغارات التي حصلت في البلاد انَّما كان سببها التعصُّب للدين فادرجوا اقوالهم في الصحف اليوميَّة ودسُّوها في خطبهم وصمّوا بتكرارها المسامع حتى توهَّم قوم انَّ في مزاعمهم الصحَّة وفي اقوالهم اليقين

فمن ثم ينبغي ان نقدّم رائد الفكر في البحث عن صادق الامر فيبرح الخفاء ويمحص الحق ويزهق الباطل

ولنباشرنَّ الكلام بتحديد الالفاظ وتعريف معانيها فانَّ اللبس والشبهة كثيرًا ما يحصلان من سوء التفاهم لعدم التدقيق في ضبط الالفاظ وحقيقة معانيها فنقول:

التساهل في اللغة التلاين والتسامح وليس في الكلمة بهذا المعنى ما ينفرنا ويوجب قلقنا فانَّهُ من المعلوم الواضح انَّ خشونة الطبع وشراسة الاخلاق وشكاسة الجانب لمَّا يأنف منهُ الذوق السليم ويمجُّهُ روح الالفة. فانَّ التمدُّن في كل اطواره قد قضى بلين العريكة وسماحة الاخلاق ودماثة الطباع وحميد السجايا وبالانس واللطف في المعاملات والتغاضي عن نقائص العباد. والدين في ذلك اوَّل المعلّمين فترى الكتب المنزلة مشحونة بالوصايا والحكم التي تأمر بحلاوة الطباع وسعة الجانب والصفح عن الذنوب فان طالعت امثال سليمان ومزامير داود وحكم يشوع بن سيراخ لا تكاد تجد فصلًا يخلو من الوصاة بالتؤدة وطول الاناة وحسن المعاملة للقريب والصبر على جناياته والغفران لمساوئه

وقد زاد العهد الجديد بيانًا في ذلك اذ اوصى السيّد المسيح تلاميذهُ بان يكونوا ودعاء كالحمام (متى ١٠ : ١٦) وطوَّب الودعاء ووعدهم ملك القلوب ووراثة الارض (متى ٥ : ٤) بل جعل نفسهُ مثالًا للوداعة بقوله لهم (متى ١١ : ٢٩): تعلَّموا مني اني وديع ومتواضع القلب. وقد ذكر الانجيل عدَّة احداث تثبت أُنسهُ وتساهلهُ حتى انهُ كان يأكل مع الخطأة والعشّارين ويأنس بمحادثة الصغار ويزجر الذين يبعدونهم عنهُ. وبلغ به لينهُ ان دعا التلميذ الذي خانهُ حبيبًا لهُ (متى ٢٦ : ٥٠) وصلَّى لاجل اعدائه واستباح لهم عذرًا لما صلبوهُ بقوله أنهم لا يدرون ما يعملون (لوقا ٢٣ : ٣٤)

فان كان هذا هو المقصود بالتساهل فانهُ ليس من مكتشفات العصر الاخير وقد عرفهُ الناس منذ القرون السابقة

ولعلَّ رُسل التساهل لا يكتفون بهذا ويطلبون ما فوق ذلك وهو ان يعيش اصحاب الاديان بالتآخي والتحابّ يتّبع كل منهم دينهُ على ما يراهُ الاصحّ والاصوب في ضميره ويتعاضدون بالاعمال النافعة لانجاح الوطن ورفع شأنه فلا بأس ونحن نوافقهم على ذلك ايضًا. فان الاديان على اختلاف نزعاتها وتباين مذاهبها اللهمَّ اذا ارادت ان تجري على مقتضى المبادئ الصحيحة لا ترضى بقهر الذين لا يوافقونها على ترك دينهم وقبول تعاليمها. اذ لا قهر في الدين وقد جرت الديانة المسيحيّة على هذا المبدإ في كل

اطوار حياتها فانّ منشئها لم يَدعُ البشر اليهِ بالسيف والاغتصاب لكن بطريقة الاقناع مثبتاً لدينهِ بالمعجزات التي شهد لها اعداؤه فضلاً عن ذويهِ وارسل تلامذته للدعوة ليس كجنود يفتحون البلاد بل كحملان بين الذئاب يبشرونهم بالخلاص ويحتملون اذاهم ويقاسون صنوف العذابات حتى الموت الاحمر في سبيل نجاتهم فيعدُّون نفوسهم سُعداء اذا ماتوا شهداء دينهم لعلمهم بانّ حبَّة الحنطة لا تأتي بثمر ما لم تهبط في الارض فتموت وتجد في موتها حياة وزكاء (يوحنا ١٢: ٢٤) . ولعمري من كانت سيرته على هذه الخطَّة فهيهات ان ينتصب قريبهُ او يقهرهُ في معتقدهِ

ثم ان السيّد المسيح تقدَّم تلاميذه في هذه الخطَّة فمن كونهِ لم يُرسل الاَّ للخراف الضالَّة من بني اسرائيل (متى ١٦: ٢٤) لم يقصر فضلهُ على بني جلدتهِ بل رحم الكنعانيَّة الوثنيَّة فشفى ابنتها (مرقس ٧: ٢٦) وابرأ غلام قائد المئة المشرك (متى ٥—١٢) ولم يأنف كاليهود من مفاوضة السامريَّة وقومها (يوحنا ٤) . فانَّ هذه الاعمال وغيرها تدلُّ على تساهل ومجاملة . وقد ادَّى بهِ تساهلهُ الى ان دعا تلميذهُ الخائن بصاحب وطلب من ابيه ان يغفر للجلَّادين الذين صلبوهُ

ونرى مثل هذا التساهل في رُسل المسيح فانَّهم ربَّما كرَّروا عليهم في رسائلهم الوصاة بمؤانسة الوثنيين والصبر على ظلمهم . فتارةً يأمرونهم بالخضوع للسلطة البشريَّة التي كانت وقتئذٍ في ايدي الرومان (عبر ١٣: ١٧) ويجعلون مصدر تلك السلطة من الله (روم ١٣: ١) فيتقدَّمون اليهم بان يطيعوا رؤساءهم للمسيح (افس ٦: ٥) . وتارةً يحضُّون المقترنين بالزواج اذا كانوا من المؤمنين بان يعيشوا مع ازواجهم غير المؤمنين بالحب والوفاق دون ان يفرضوا عليهم الانفصال عنهم لعدم ايمانهم (١ كور ف ٧) وكذلك سمحوا لهم باكل اللحوم التي كان الباعة يقرّبونها لاصنامهم ما لم يكن ثمَّ سببٌ للشكوك فيمتنعون عنها (كور ف ٨)

وجرت الكنيسة على هذه السُّنن في كرور الدهور فانك لو راجعت كل صفحة من صفحات تاريخها لرأيت عجائب من آيات لطفها وحبّها الوالدي ليس نحو ابنائها فقط بل نحو كل الامم المتسكعة في ظلمات الشرك التائهة في بيداء الضلال فلم تزل تعطف عليها وتتفانى في خدمتها حتى كسرت شباة همجيَّتها وروَّضت اخلاق بنيها وأحنت رؤوسهم لتعاليم الانجيل

وكثيرًا ما وجدت الكنيسة في طريقها شعوبًا قاوموا دعوة رسلها فلا نجد اثرًا في كتابات احبارها او في قوانين مجامعها ما يشير الى تحريضها على محاربتهم ما لم يسبقوا فينشبوا ابناءها الحرب او يتعدّوا على حقوقها كما فعلت أيام الصليبيين بعد ان احرق الفاطميّون كنيسة القيامة في القدس الشريف (اطلب تاريخ القلانسي ص٦٧—٦٨)

ولنا على تساهل الكنيسة مع اهل الاديان المخالفة لدينها امثلة عديدة فانّها بعد تنصّر قسطنطين وذرّيته لم تطلب من الملوك المرتدّين الى دينها بان ينصبوا رعاياهم على اتباع النصرانيّة في العالم الروماني بل واصلت مساعيها في دعوتهم بطريقة سلميّة على يد دُعاتها ومبشّريها الصالحين. وكذا فعلت في كل بلد من البلاد التي دخلتها كفرنسة على عهد كلوڤيس وانكلترة واسبانية في زمن غريغوريوس الكبير (المشرق ٧: ٩٨٧—٩٩٨) والمانية على يد القديس بونيفاسيوس فانّ فتوحات الكنيسة كانت دائمًا سلميّة حيثما حلّت وقد شهد بتساهل تبعة المسيح من قال عنهم: «وجعلنا في قلوب الذين اتّبعوهُ رأفةً ورحمةً»

ومن الشواهد على اناة الكنيسة مع المخالفين لدينها معاملتها الحسنة لالدّ اعدائها وهم اليهود فانّ للاحبار الرومانيين في عدّة رسائل ومناشير اوفدوها الى الملوك والاساقفة ينهونهم عن سوء معاملة الموسويين وكان هؤلاء ببلاد كثيرة اوغروا صدور الاهلين برباهم الفاحش واحتكارهم للمال والغلات وبفتكهم خفيةً ببعض المسيحيين وبتآمرهم عليهم مع اعدائهم وبيعهم لهم كالرقيق. فمع كل ذلك لم يشأ الباباوات ان يُساء اليهم الصنيع بل يُعاملوا بالعدل كبقيّة الناس مع اتّخاذ الوسائل الكافية لتلافي شرورهم. وهكذا صنع نوّاب المسيح في رومية العظمى نفسها أيام سيطرتهم اذ جعلوا لليهود في املاكهم مأمنًا من مناوئيهم وافردوا لهم احياء لسكناهم. وقد اقرّ اليهود بفضل الاحبار الرومانيين وشكروا لهم غير مرّة حسن صُنعهم

وما فعلهُ الباباوات في امر المداين مع اليهود قد فعلهُ كثير من الملوك النصارى مع المسلمين في عدّة جهات. فانّ صكوكًا كثيرة تدلُّ على انّ الصليبيين الفرنج لمّا استولوا على سواحل الشام وبيت المقدس أحلّوا في تخومهم المسلمين وتركوا لهم كل حرّية في اتباع دينهم واقطعوا لهم الاقطاعات كما اورد في تاريخ بيروت صالح بن يحيى (ص٨٣

و٩٨) بل اتّخذوا فرقة مع الاتراك المتطوّعين في جيشهم كما بيّن ذلك في تأليفهِ العلامة شلومبرجر (Schlumberger)

وقد اورد ابن جبير في رحلتهِ ما كان لملوك صقلية من التسامح والتساهل مع مسلمي تلك الجزيرة. فمن قوله عن مسلمي بلارمة (ص ٣٢٤):

وفيها سُكنى الحضريين من المسلمين ولهم فيها المساجد. والاسواق المختصة بهم في الارباض كثير. وسائر المسلمين بضياعها وجميع قراها وسائر مدنها كثرنوسة وغيرها لكنّ المدينة الكبيرة التي هي مسكن ملكها غليلم اكبرها واحفلها وبعدها مسّينة... وشأن ملكهم هذا عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين... وهو كثير الثقة بالمسلمين وساكن اليهم في احوالهِ والمهمّ من اشغالهِ حتى انّ الناظر في مطبخهِ رجلٌ من المسلمين ولهُ جملة من العبيد السود المسلمين وعليهم قائد منهم ووزراؤهُ وحجّابهُ الفتيان ولهُ منهم جملة كبيرة هم اهل دولتهِ والمرتسمون بخاصّتهِ وعليهم يلوح رونق مملكتهِ... واما فتيانه الذين هم عيون دولتهِ واهل عمالتهِ في ملكهِ فهم مسلمون ما منهم الّا من يصوم الاشهر تطوّعًا وتأجُّرًا ويتصدّق تقرّبًا من الله وترلفًا وينتك الاسرى ويربّي الاصاغر منهم ويزوّجهم ويحسن اليهم ويفعل الخير ما استطاع وهذا كلهُ صنع من الله عزّ وجلّ لمسلمي هذه الجزيرة وسرّ من اسرار اعتناء الله بهم

ومثلهُ فعل روجار ملك صقلية الذي اتّخذ كثيرًا من المسلمين في اشغالهِ منهم الشريف الادريسي عهد اليهِ التجوّل في البلاد لتصنيف كتابهِ في وصف البلدان

وقد اقتفت بامثال هؤلاء الامم النصرانيّة الحدثة كالانكليز في الهند والفرنسويين في الجزائر والالمان في زنجبار والهولنديين في جاوة. وبالغت الحكومة الفرنسويّة في تساهلها مع اهل الجزائر حتى ابتنت لهم جوامع لصلاتهم

. وانّنا لنعلم انّ بعض الدول المسيحيّة لم تجزْ هذا التساهل في القرون الغابرة الّا انّ تلك الخطّة انّما علّتها غالبًا الاحوال السياسيّة وليس كلامنا هنا عن السياسة لانّ مبادئها غير مبادئ الدين. قال ابو الريحان محمّد الشهير بالبيروني في كتابهِ عن الهند (ص ٢٨٠ من طبعة لندن):

انّ النصرانيّة مبنيّة على الخير وكفّ الشرّ من ترك القتل اصلًا ورمي القمصان خلف غاصب الطيلسان وتمكين لاطم الخدّ من الخدّ الاخرى والدعاء للعدو بالخير والصلوات عليهِ وهي لعمري سيرة فاضلة ولكنّ اهل الدنيا ليسوا بفلاسفة كلهم وانّما اكثرهم جُهّال ضُلّال لا يقوّمهم غير السيف والسوط. ومنذ تنصّر قسطنطينوس المظفّر لم يسترح كلاهما من الحركة فبغيرهما لا تتمّ السياسة

فترى ممّا سبق انّ النصرانيّة لا تنفي التساهل ولا تُعامل فقط جميع البشر بالرفق

والتؤدة لكنها ايضاً تترك لهم حريتهم في لزوم اديانهم ولا تجبرهم البتة على التدين بدينها . الّا انّ المولعين بالتساهل لا يقفون عند هذا الحدّ ويطلبون من كلّ مسيحيّ ان يعتبر دينهُ كدين غيره فلا يفضّل ديناً على آخر لانّ الاديان على قول هؤلاء مذاهب وآراء والمذاهب والآراء متساوية في الرجحان والصواب فليس للانسان حقّ بان يدّعي لدينهِ الصحّة واليقين فما ادراهُ ان يكون دينهُ هو الصحيح المستقيم دون غيره . فانهُ ان فعل أبدى اغراقاً وغلوّاً في الدين ونسب الى دينه الكمال وليس الكامل غير الله عزّ وجلّ

ثم يردفون بذلك قولهم : كم تعاقب من المذاهب في العالم وتوالت الآراء الدينية وتتابعت العقائد فاين الآن تلك المعتقدات فانّها كلها قد تلاشت وذهبت ادراج الرياح فيا ذهب من الاوهام . هذا ما زعمهُ هؤلاء المتشدّقون وربّما رموا بالتعصّب من رأى الصحّة في معتقده . وما التعصّب عندهم الّا التمسّك باهداب الدين والتشبّث باصوله وتفضيلهُ على كل خير سواه

دعنا ننظر في هذا الامر ملياً ونفحص مزاعم هؤلاء المخرقين فننظر أيجوز للمسيحي ان يبلغ في التساهل هذا المبلغ

☆

ظهر على ارضنا في بعض انحاء اليهودية قبل تسعة عشر قرناً رجل كانت تنتظره الشعوب وتستدعيه الامم بملء الشوق والرجاء لتجد فيه الخلاص من تبعة آثامها وكان بين هذه الشعوب ملّة اختارها الله لتمهّد الطريق لمجيئهِ وتمدّ القلوب لاستقباله . وهي تعلن سلفاً في كتبها القديمة عن كلّ صفاته في مولده ونشأته وحياته ومماته بل تاريخ ظهوره بادق الحسابات واضبطها وتدعوهُ المسيح

فذلك الرجل العجيب ظهر في موعد انتظاره وحقّق بشخصه حرفاً بحرف كلّ ما كُتب عنهُ لم يترك منهُ ذرّة وادّعى باللاهوت واثبت دعوتهُ باوضح الآيات واصدق البيّنات فاقام الموتى واعطى النور للعميان والسمع للصمّ والنطق للخرس وطهّر البرص وحكم على قوّات الطبيعة فأطاعتهُ . ثم سبق وأعلم بموته وقيامته بروئى متعددة وفي امكنة وازمنة مختلفة وامام اشخاص متعددين بلغ عددهم في بعض الاوقات خمسمائة رجل ظهر لهم وخاطبهم وأكل معهم ووبّخهم على قلّة ايمانهم ثم صعد الى السماء امامهم

فهذا الرسول العظيم والمعلم الكبير لقّن تلاميذه تعاليم الهيّة «ليست هي لهُ بل للاب الذي ارسله» (يوحنا ٧: ١٦) تعاليم ثابتة «يزول السماوات والارض وهي هي لا تزول» (متى ٢٤: ٣٥) وقد حتم على رسلهِ لتأييدها ان يقاسوا كلّ المحن والشدائد بل يعدُّوا نفوسهم سعداء اذا عيَّروهم وشتموهم وقالوا فيهم كل كلمة سوء واسلموهم الى كل العذابات ويؤثروا الموت بكل غصصهِ وآلامهِ على نكران شيء منها لئلا ينكرهم هو الربّ يوم الدين امام ابيهِ الذي في السماوات (متى ١٠: ٣٢). فيا ليت شعري ايمكن المسيحي بعد ذلك ان يتساهل بالعقائد فيضحّي منها شيئاً او يتصرَّف بها كتصرُّفه بالآراء التي لا تتجاوز الاحتمال والرجوح

ولا يختلف تعليم الحواريين بهذا الخصوص عن تعليم سيدهم. وناهيك بقول بولس الرسول الى اهل غلاطية حجّةً دامغة لا تبقي في الامر ريباً قال ولله درُّهُ من قول يجب على المتساهلين بالدينيَّات ان يتبروهُ ويمعنوا فيه النظر (غلاطية ١: ٦—١٠): «اني لمتعجب كيف تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر (وان لم يكن انجيلٌ آخر) لكنَّ قوماً يبلبلونكم ويريدون ان يقلبوا انجيل المسيح. ولكن ان بشَّرناكم بهِ فليكن مبسلاً. كما قلنا سابقاً اقول الآن ايضاً ان بشَّركم احد بخلاف ما تلقَّيتم فليكن مبسلاً. أفلعلّي أستعطف الناس ام الله. أأطلب ان أرضي الناس. اني لو كنت بعدُ أرضي الناس لما كُنت عبداً للمسيح . . . وأُعلمكم أيها الاخوة انَّ الانجيل الذي بُشّر بهِ على يدي ليس بحسب الانسان لاني لم اتسلَّمهُ او اتعلَّمهُ من انسان بل بوحي يسوع المسيح»

وقد اتَّسع الاناء المصطفى في رسالتهِ الى العبرانيين عن حقيقة الايمان وشروطه وخواصهِ فبيَّن انَّ الانسان لا يمكنهُ ان يرضي الله دون الايمان وانَّ الايمان وُضع في مقدّمة الدين كاساسهِ غير المتزعزع. على ان هذا الايمان ليس بايمان اعمى دون ادراك سابق ومعرفة متقدّمة بل يجب على المؤمن ان يتحقّق بعقلهِ انَّ الله عزَّ وجلَّ قد اختار احد اوليائهِ ليبلّغهُ بواسطتهِ امرًا من اوامره وانَّ هذا الوليّ اثبت رسالتهُ بمعجزات صادقة لا ريب فيها. وينبغي على المؤمن ايضاً بعد ان تبيَّن صدق النبيّ ان يتأكد انَّ الله اوحى اليه بتلك الحقيقة التي يبلّغهُ اياها فان ظهر لهُ الامران على وجه جليّ تحتَّم عليهِ الايمان وان لم يدرك كلّ معاني ذلك الوحي ولم يفهم كُنه الحقيقة التي بلّغها

وقد تبيّن للمسيحي كل ذلك سواء بلغتهُ قضايا الوحي على يد السيد المسيح او على يد رسلهِ الاطهار بالحجج الراهنة التي يُمكن الوقوف عليها بشواهد التاريخ واعمال الوسطاء بينهُ وبين الله اذ اثبتوا رسالتهم بالمعجزات الواضحة المتعددة وضحّوا نفوسهم طيب الخاطر لبيان صدقهم وقد قال بَسْكال الفيلسوف: «اني لؤمنٌ بدين يبذل ذووهُ نفوسهم للموت تأييدًا لصحتهِ» وليست هذه شهادة الدم في النصرانيّة لبعض الافراد بل أدّاها بل الفرح ألوف وربوات والوف الوفٍ من البشر من رجال ونساء واطفال وفتيات سقوا بدمائهم كلّ بلد من بلاد المعمور واعلنوا بشهادتهم في كل جيل من الاجيال دون انقطاع منذ ايّام الرسل الى يومنا هذا كما جرى في هذه الاحقاب الاخيرة في الصين وتونكين وانام وبلاد اوغندا وجزائر الاوقيانوس

فان كان الامر على هذا المنوال فقُلْ لي ناشدتك الله أيستطيع المسيحيّ ان يتساهل بحقائق دينهِ الموحاة فيختار منها ما يروق لهُ وينبذ ما لم يَرضَ بهِ . وهل تُعدّ الكنيسة مخطئةً متجاوزة طورها اذا حافظت على وديعة الايمان تصونها كما يُصان اثمن المتاع وافخر الكنوز فتردّ من حاول سلبها او تغيير شيء منها بكلام الرُسل في مجمع اليهود لمّا الحّ عليهم رؤساء الكهنة والشيوخ بان يكفُّوا عن تبشير الانجيل (اعمال ٤: ١٩): «أحكموا انتم. ما العدل امام الله ان نسمع لكم ام نسمع لله فانّا لا نقدر ان لا نتكلّم بما عاينّا وسمعنا». فهذا القول الشريف قد كرّرتهُ الكنيسة منذ اوّل النصرانيّة وقرّرتهُ في مجامعها وأيّدتهُ بتعاليمها المتواصلة وتقاليدها المتوالية لم تهمل منهُ شيئًا البتّة

وليس كلامنا هنا عن بعض الآراء الحرّة او التعاليم الثانويّة التي لم تقطع الكنيسة بصحّتها لعدم وجود الادلّة الكافية على اثباتها وذهب العلماء في بيانها مذاهب بل عن العقائد الجوهريّة التي وردت صريحًا في الاسفار المقدّسة او استخلصتها الكنيسة من تعاليم الرسل والتقاليد الراقية الى عهدهم. فانّ هذه المعتقدات باقية ببقاء الحقائق التي لا يطرأ عليها تغيير او يشينها تبديل

وكذلك في الكنيسة عدّة امور منوطة بالعمليّات والتهذيبات فُوِّض الى رؤسائها الحكم فيها من صوم وصلوات وطقوس وتدابير شرعيّة لا تمسّ جوهر الاسرار فلا بأس اذا الكنيسة تصرّفت فيها على حسب الازمنة والامكنة وظروف الاشخاص وطوارئ

الاحوال. فانّ هذا التساهل قد جرت به الكنيسة في عهدنا خصوصاً لِما رأت فيه من المقتضيات الموافقة للشوؤن الحاضرة

وان قال قائل لنّ في تمسك الكنيسة بعقائدها غلوًا في الدين وتعصُّباً ذميماً انكرنا ذلك كل الانكار واثبتنا قولنا بالبرهان. نرى في العلم قضايا ثابتة لا يشكُّ فيها الّا الجاهل بها أفينسب احدٌ الى التعصُّب العلماء القائلين بها او يُثني على تساهل الغبي الذي يتسامح بها لعدم ادراكه لها. أو ليست حقائق الدين اشرف واثبت من قضايا العلم اذ الموحي بها هو الله عزّ وجلّ الذي لا يَخدَع ولا ينخدع

وان اعترض المعترض قائلًا بانّ حقائق الدين لا يمكن العقل ان يتّصل الى اثباتها بخلاف العلميات. أجبنا كم من القضايا العلميّة التي لا يستطيع المرء ان يثبتها بنفسه وانّما يقبلها من العلماء واثقاً بعلمهم أفلم الله لا يفوق كل معارف الحكماء؟ أوَ لا يستحقّ سبحانهُ وتعالى ان يوثق بكلامهِ؟

ولعلّ المعترض يقول بانّ العلميّات يمكن ادراكها بالدرس والنظر امّا اسرار الدين فلا تُنال بهما. جوابنا انّ في العلوم الطبيعيّة نفسها اسرارًا عجيبة يقرّ العلماء بجهل اسبابها وشرح صفاتها مع إجماعهم على صحّتها أفليس للمؤمن ان يُذعن لاسرار الدين وان جهل وجوه صحّتها. فايّ عالم من العلماء قد وقف على كنه المادّة ومركّباتها وعناصرها الاوّليّة؟ ومن منهم ادرك سرّ القوى الطبيعيّة واشياء لا تُحصى يرون معلولاتها بالعيان ويجهلون حقائقها. بل كم من الامور القريبة المنال تفوتهم فلا يسعهم انكارها ولا يتردّد احد منهم في تصديقها والعمل بها. أفيمتنع العالم عن الاكل لانهُ لا يعلم كيف يستحيل الطعام الى جسمه؟ او ينكر النوم لانّ العلماء حتى يومنا لم يحسنوا بيان اسراره؟ مَن منّا رأى الاسكندر او عاين مدينة بابل؟ ولا احد ينكر ذلك لشهادة التاريخ الصادق في هذه الروايات. فكيف يُلام المؤمن اذا وثق باقوال من لا يُنكر عليهم بالالهيات كالسيد المسيح والانبياء والرسل الاطهار وقد اصطفاهم الله لتبليغ اوامره للبشر وأيدهم بقوةٍ من لدنهِ فان ردّ المؤمن شهادة هؤلاء الشهود ألا يقترف اثماً كبيرًا؟ فكم بالحري يجب عليهِ اذا قبل شهادتهم وصدّق اقوالهم ألّا يرجع عن صنيعهِ ويرتدّ عن ايمانهِ

وهذا ما حمل الكنيسة على مناصبتها الهراطقة ومعارضتها الذين يقاومون تعليم

الخلاص ولها اسوةٌ في ذلك في رسلها انفسهم فانّ بطرس هامة الرسل تصدّى لسيمون الساحر (اعمال ف ٨) وابسلهُ اذ اراد يتّخذ الدين وسيلةً لارباح خسيسة . وهكذا فعل بولس الرسول مع عليما الساحر (اعمال ١٣: ٨) لمّا حاول ان يتعرّض لبشارة الرسول وقال لهُ: «يا ممتلئاً من كل مكر وخبث يا ابن ابليس يا عدوّ كلّ برّ ألا تزال تعوّج سبل الرب المستقيمة . فالآن ها ان يد الرب عليك فتكون اعمى لا تبصر الشمس الى حين» .

ومثلهما يوحنا الحبيب المعروف برقّة طباعهِ فانهُ في رسالتهِ الثانية (يو ١: ٩-١١) يحتم على المؤمنين بان يبتعدوا عمّن يضلّهم عن تعليم المسيح فقال: «كل من تعدّى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله لهُ ... فمن اتاكم ولم يأتِ بهذا التعليم فلا تقبلوهُ في البيت ولا تقولوا لهُ سلامٌ فانهُ من قال لهُ سلام فقد اشترك في اعمالهِ الشرّيرة» . وروى القديس ايريناوس (في كتاب البدع ٣) واوسابيوس القيصري في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٨ وك ٤: ١٤) انّ الرسول الحبيب دخل يوماً مع بعض تلاميذهِ حمّاماً في افس ليستحمّ اذ لمح فيه كيرنثوس زعيم المبتدعين فمن وقتهِ همّ بالخروج قائلاً: «لا يسوغ لنا ان نبقى وهذا الرجل معاً تحت سقف واحد لئلاّ يهبط علينا السقف بسببهِ»

وكذلك بوليكربوس تلميذ يوحنّا الحبيب وخلفهُ في رعاية المؤمنين فانهُ على ما روى القديس ايرينيوس التقى يوماً وهو في رومية بمرقيون المبتدع فسألهُ مرقيون ألا يعرفهُ اجاب القديس: «نعم اني اعرفك كبكر الشيطان»

فلعمري من يقرف هؤلاء الرسل والابرار بالتعصّب الذميم ولم يفعلوا ما فعلوا الاّ لعلمهم بانّ موهبة الايمان اعظم المواهب يجب على المرء ان يدافع عن حرمتها دفاعهُ عن اثمن الجواهر واعظم الكنوز. وكان لهم اسوةٌ بمعلّمهم الالهيّ الذي مع جزيل لطفهِ وطول اناتهِ لم يتملك نفسهُ عن تقريع رؤساء الفرّيسيين وإبطالهم لوصايا الله بسُنَنهم البشريّة الفارغة (متى ٢٣: ١٤-٢٩)

وقد اقتصّت الكنيسة آثار منشئها وتأسّست بامثالهِ الالهيّة فانّها وهي الامُّ الواسعة صدرًا المفعمة حنوًّا ورقّةً كانت اذا رأت انّ وسائل اللطف والاقناع لا تأتي بنتيجة في اصلاح ابنائها العُصاة تلتجئ على رغمٍ منها الى وسائل اشدّ عملاً والى ادوية انجع فعلاً فتحرم من شركتها اولئك المتمرّدين او تسلّمهم للمحاكم المدنيّة تأديبهم لعلمها بانّ الصرامة في وقتها خير واحسان

وانّنا لنعلم انّ اعداء الدين قد نادوا بالويلات لتشدُّد الكنيسة على بعض المارقين وعظَّموا الامر واستفظعوا العمل ولفّقوا الاحاديث الكاذبة والروايات المختلقة التي ابتدعها البغض والهوى الاعمى ولنا في ذلك فصل ننشرهُ ان شاء الله في احد اعداد المجلة الآتية

وما نقولهُ هنا بالاجمال انّ الكنيسة بلغت الغاية القصوى من التساهل والتسامح الّا في امور الايمان لعلمها بانَّ الايمان في يدها وديعة لا يمكنها ان تتصرَّف بهِ كيف تشاء فتحفظهُ بكل حرص وعناية وتردّ عنهُ كل غارات الخصوم لا يأخذها في ذلك لومة لائم. فان المسيح وكل اليها حراسة قطيعهِ لتقودهُ الى المراعي الصالحة وتبعدهُ عن المناجع الوخيمة فان كرّت الذئاب على القطيع فمن الواجب اللازب بان تحول دونها والخراف وتردَّ الضواري خاسئة خائبة. وهي هي الموكول اليها بيت اسرائيل فاقامها الربُّ عليهِ كما انتدب ارميا سابقاً حيث قال (١ : ١٠): «انظر اني اقمتك اليوم على الامم وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتُهلك وتنقض وتبني وتغرس» فمن كانت هذه دعوتهُ هيهات ان يسوغ لهُ التهاون في اتمام مهنتهِ ليتساهل فيها على هواه فان فعل وجب فيهِ قول الرب: «من اهمل شيئاً من هذه التعاليم ولو زهيدةً عُدَّ صغيرًا في ملكوت السماوات»

اسحق مطران نينوى

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اتحفنا حضرة القس بولس بيجان المرسل اللعازريّ الجزيل الفضل بكتاب وسمهُ مؤلفهُ الشهير مار اسحق مطران نينوى بالطريقة الرهبانية (ܐܘܪܚܐ ܕܕܝܪܝܘܬܐ) وقد صدَّرهُ بمقدّمة منطوية على اخبار المؤلف والنظر في مصنَّفاته. فمع اطرائنا همّة الناشر الجليل واقرارنا بصنيعه المستوجب الشكران ودعائنا الى العزَّة الالهيَّة كي تأخذ بيمينهِ وتطيل في ايامه خدمةً للدين والعلم ونشر آثار السلف وددنا ان نسطّر على صفحات المشرق الاغرّ شيئاً من اخبار المؤلف الذي شرَّف وطنهُ بمصنَّفاتهِ الاثيرة

واعلم انَّ من الكتبة الاوَّلين من خال اسحق هذا ارثذكسيًا بالاستناد الى تآليفه الحالية (على رأيهم) مما يمسّ العقيدة الكاثوليكيَّة الراهنة ومنهم من زعم بانهُ كان

يعقوبيَّ النحلة لوفرة اعتبار اليعاقبة لهُ وثنائهم عليهِ وايراد كلامه في كتاباتهم. بيد ان ما نشرهُ غبطة بطريركنا العلّامة مار اغناطيوس افرام الثاني في الجزء الاوَّل من مجانيه السريانيَّة (ܟܘܡܟܠ ص ٣٣) المنقولة الى اللاتينيَّة قد فكَّ ذلك المشكل اذ صرَّح جليًّا بانهُ كان نسطوريًّا قحًّا وذلك لقيامه وقعوده في ما بين النساطرة وارتسامه مطرانًا بيد بطريركهم. والحكم الفصل في ذلك ما جاء في كتاب موسى الاديار (ص ٥٠٨ من الاب بيجان) ليشوع دناح مطران البصرة حيث وردت قصَّة المؤلف الصحيحة وهي تخالف ما رواهُ سابقًا العلّامة السمعاني نقلاً عن كاتب يعقوبي ليس بثقةٍ (المكتبة الشرقيَّة ١: ٤٤٤). قال يشوع دناح ما ملخَّصهُ:

وُلد اسحق في اوائل القرن السابع في مدينة باليمن تدعى باقطرا كانت معمورة بالنساطرة خاضعةً لمطران الفرس. ولما بلغ اشدَّه انقطع الى دير في تلك البلاد وتوشَّح بالاسكيم الرهباني. وفي اثناء اقامتهِ رحل جورجيس جاثليق بطريرك النسطور (٦٦٠—٦٨٠) الى تلك النواحي فاستصحب اسحق الى بلاد ارام وعلى اثر وفاة موسى مطران نينوى سامهُ في دير باعابا (١ مطرانًا كخلفٍ لهُ ولم يكد يمرّ عليهِ خمسة شهور حتى استقال من رعاية الابرشيَّة بين يدي ذانا مطران حدياب فخلفهُ في الكرسي المطران سبريشوع. اما اسحق فانصرف الى جبل ماتوت في بلاد الاهواز وانخرط في سلك الرهبان ثم اقبل الى دير ربَّان شابور واقام بهِ حتى لقي حتفه بشيخوخة صالحة. وكان قبل وفاته قد ابتلاه الربّ ببصره فصار يُلقبُ على الرهبان تصانيفه وكانوا يلقّبونه بديديمس الثاني (٢ لحلمه واتضاعه وبشاشته وورعه وتضلّعه بالكتب الالهيَّة والاسرار البيعيَّة. ولم يكن يأكل في الاسبوع سوى ثلاثة ارغفة من الخبز ممزوجة بقليل من البقول

١) باعابا مدينة شهيرة واقعة وراء جبل الناف في بلاد الموصل وفيها دير قديم جليل على اسم مار يعقوب يعرف بدير باعابا

٢) كان ديديمس راهبًا بالاسكندريَّة في القرن الرابع وابتلاه الرب بالعمى وهو ذو اربع سنوات. لكنهُ تعالى كان افاض عليهِ عقلًا راجحًا وذهنًا ثاقبًا حتى انهُ كان يفسّر العهدين كلمةً كلمة. وكان متضلعًا بالحقائق الدينية خبيرًا بترهات الاراتقة وبصلاته قُضي على يوليانس الجاحد (بستان الآباء ص ٢٦ طبع الاب بيجان)

والّف اسحق خمسة كتب (١ مشهورة حتى اليوم كما شهد مار يوصاداق في رسالة رقها الى بُشير تلميذهِ في دير مار شابور فقال ما نصهُ : «شكرت لله اعتناءك بارسال تآليف مار اسحق النينوي اليَّ واني لعالم بانك في حياتك قد حصلت على مقاليد الملكوت لأنك ملأت ديرنا علوماً مفعمة حياةً . على اننا مقرّون باننا تلامذة مار اسحق مطران نينوى » . ثم اردف قولهُ : « ان تآليف مار اسحق اضحت لي اكبر عضدٍ وسلوان » . امَّا عبد يشوع الصوباوي فقد عزا اليهِ سبعة مجلَّدات (٢ في السيرة الروحية وفي الاسرار المقدَّسة وفي الاحكام والسياسة

هذا اصدق ما رُوي عن اسحق النينوي . امَّا الكتاب الجديد فهو منطوٍ على ٢٢٨ صفحة نقلها الناشر الهمام عن ثماني نسخ اجلّها واشهرها نسخة ماردين المرقومة على الرقّ سنة ١٢٣٥ م في قريتي والطو وطياري من بلاد كردستان وقد كنَّا نحن الواسطة في استجلابهِ من وطننا عام اوَّل . ولهجة مار اسحق شبيهة بلهجة القديس يعقوب افرهاط والقديس سهدونا وتوما المرجيّ يجماونها من الطبقة الوسطى وقد تنمّقت بالالفاظ المنسجمة والعبارات السلسة والمعاني الدقيقة الممزوجة بآيات الكتاب العزيز وهي مع ذلك خالية من التعقيد والكلمات الغريبة التي اعتاد مؤلفو النساطرة المتأخرون ان يحشوا بها تآليفهم ولم نصادف سوى خمس او ست كلمات دخيلة في المؤلَّف برمَّتهِ . وقد نسق بعض الفصول على منوال سفر امثال سليمان والجامعة وابن سيراخ كما يتضح من الميمر الرابع والفصول ٤٥ و ٤٦ و ٥٠ وحذراً من ان يملّ القارئ قد اورد المصنف في الفصل ١٨ بعض اخبار جرت للرهبان . ونسق الفصل ٣٥ على سبيل السؤال والجواب تفكهةً للزاهد . وقد اتى بذكر ابينا مار افرام الملفان ثلاث مرَّات (ص ٦٣ و ٤٣٧ و ٦١١) وذكر ايضاً ديونيسيوس الاريوباغي واثناسيوس الاسكندري وباسيليوس القيصري وغريغوريوس الثاولوغس وفم الذهب وقرلُس

غير ان اليعاقبة عاثوا في تآليفه فحذفوا وحرَّفوا ما عنَّ لهم ومنهم من خلطه مع

١) في مكتبة غبطة بطريركنا العلّامة نبذة مقتطفة من كتاب الخامس من مؤلفات اسحق النينوي في ١٥ صفحة عنوانها « براهين دامغة من الكتب ضدّ من زعم ان العالم يسير بالعرض دون مدبر »

٢) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني الجزء الاوَّل (٤٤٦-٤٦٣) والجزء الثالث (ص ١٠٤)

اسحق اليعقوبي (١ وقد نقل ابن العبري من تآليف اسحق هذا فقرات شتى في كتاب الايثيقون (٢ كما يتضح جلياً لمن يقابل (ص ٤٣٨ مع ص ٣٢٢ من الايثيقون. وصفحة ٤٩٩ مع ص ٨٠٦ وص ٥٠٢ مع ص ٣٥٥ وغيرها. وامتدحه ابن العبريّ جداً الّا ان ذلك لا يؤيد كونه يعقوبياً البتة. واليك البراهين المثبتة تشيُّعهُ للبدعة النسطوريّة

١ً لم يذكر المؤرخون مطراناً لليعاقبة على نينوى بل كان كرسي تلك المدينة خاصاً بالامّة النسطوريّة

٢ً قد ورد في كتابات اسحق النينوي ما يدلّ على اعتبارهِ لديودرس الطرسوسي معلّم نسطور حتى انهُ (في ص ٢٨٥) سمّاه «الحبر الفصيح الثاقب العقل». ودعاه ايضاً «نجمة المسكونة والمعلّم الكبير» الى غير ذلك من الصفات الحميدة

٣ً ومن الادلّة على نسطوريّتهِ انهُ ذكر (ص ٦٠٣) الاصوام الثلاثة وهي صوم ربّنا وصوم الرسل وصوم الانبياء على مقتضى طقس النساطرة وحده

٤ً وممّا لا يبقي ريباً في انتمائهِ الى النسطوريّة قولهُ باقنومي المسيح وتجسّد طبيعتيهِ فقال: (ص ٣٩): «فتحصل على الحياة الابديّة بيسوع المسيح الوسيط بين الله والبشر والمتجسّد بطبيعتيهِ» (٣. وفي الصفحة ٢٢٠ يذكر الاقنومين علانيةً

٥ً ولاسحق عدا ما اوردناه ميامر ومقالات شتى تثبت ما نحن بصدده منها ثلاث مقالات ارتاب في صحّة محتوياتها دانيال بن طوبانيثا اسقف باجرمي النسطوري ومنها ميمره في الطبيعة الالهيّة واسرار تدبيرِ ربّنا (٤ ورد فيهِ ما معناه: «ان الله بذل ابنه الوحيد حبّاً بنا فاقتبل الآلام هيكلهُ وليس جوهره». وجاء فيهِ ايضاً «لو كانت محبّته شاملة الجميع دون تغيير كيف امكن ان يكون لهُ مشيئتان كما لهُ اقنومان». وزد عليهِ ان النساطرة يحتفلون اليوم بعيده في ٢٥ أيار وفي ١٠ آب

ومع هذا الشطط لا يخلو تأليف اسحق من الفوائد الجمّة المستحقّة الثناء والاعتبار الجزيل خاصّةً ما يتعلّق بالاسرار البيعيّة والرتب الطقسيّة. واجلّها ما جاء في

---

١) اطلب الجزء الاوّل من المجاني السريانيّة (ܚܕܡܬܐ ص ١٤) لنبغة بطريركنا العلّامة ومقدّمة بيجان على ميامر مار اسحق التي نشرها عام ١٩٠٣

٢) اطلب طبعة الاب بيجان عام ١٨٩٨

٣) قرأنا في النسخة العربية اليعقوبيّة (شيئين) بدل طبيعتين

٤) طالعنا هذا الميمر في كتاب من خزانة غبطة بطريركنا يحتوي على ٢٩ صفحة

سرّ الاعتراف (في الفصل ٣٠ ص ٢١١) قال: « لا يمكن الانسان ان يعدل عن الخطيئة التي اعتادها الّا بان يمتها بالكليّة ولا يمكنهُ ان ينال الصفح عنها ان لم يقرّ بها بالاعتراف »

وقال في التناول الروحي (ص ٦٢٦): « متى هذذت في الاسرار القدسيّة احدق نظرك في الذبيح واهتف بارتياح ممتزج بالحبّ قائلًا: نفسي اليك ظمآنة يا رب. متى ينتهي الاسبوع لآتي وانظر محيّاك » وقد جاء مثل ذلك في الصفحات ٦٠٤ و ٦٢٠ و ٦٢٢

وقد شهد برئاسة بطرس زعيم الرسل (ص ٤٥٨) حيث قال: « ان الرب امرهُ ان يتولّى رئاسة قطيعه »

وعدَّد انواع الخطايا (ص ١١٠) بكلام صريح وجيز وذكر طبقات سعادة القدّيسين (ص ٨٦) وحثّ على مطالعة الاسفار المقدسة (ص ٤٨) وبيّن حراسة الملائكة (ص ٩٥) الى غير ذلك من الفوائد التي تذكر وتنبئ باضطلاعه في تلك الحقائق الراهنة. ومن ثم نحثّ محبي اللغة السريانيّة العزيزة على اقتناء هذا الكتاب ومطالعته داعين للناشر بالخير والفلاح

ملحق

في النسخة العربية لكتاب اسحق النينوي

خاصّة مكتبة دير الشرفة

بقي ان نورد كلمةً في نسخة كتاب اسحق العربيّة المحفوظة في خزانة كتب مدرسة الشرفة وهي مرقومة على رقّ في ثلاثمائة ورقة ونيف طولها ٢٨ سنتيمترًا في عرض ١٩ س وكأنها النسخة التي وصفها السيد السمعاني الطيّب الذكر في المكتبة الشرقيّة (جزء ١ ص ٤٤٦) الّا انها اقدم منها بثلاث وستين سنة وهي موسومة بالارقام القبطيّة وفيها كلمات كثيرة دون نقط ممّا يدلّ على قدمها. وقد قابلنا شيئًا منها مع نسخة الاب بيجان فألفينا فيها تغييرًا ليس بقليل واليك باقتصار ملخّص الكتاب

ذكر في المقدّمة ان اسحق ترك الاسقفيّة وتوجّه الى بريّة الاسقيط حيث اكمل بقيّة حياته... ووضع هذا الاربعة الكتب في غاية البلاغة... وعاش هذا القديس في

اوّل الألف السابع من تاريخ العالم (١). امّا الجزء الاوّل فمنطوٍ على ٤٤ ورقة لا اثر لها في السريانيّة. وورد في آخرها « كمل الجزء الاوّل لمار اسحق غير ان باقيه ما توجد الّا في بلاد السريان ». امّا الجزء الثاني فمصدّر بمقالة في خوف الله توافق طبعة الاب بيجان من ص ١ الى ٦٠ جاء في آخرها « كمل كتاب القدّيس العظيم مار اسحق في مخافة الله ولهُ ايضاً في محبّة الله ». والجزء الثالث فهو في الرهبنة يقابل ما طبعهُ الاب بيجان من ص ٤٠–٤٠٥ وفيه ميمران لا اثر لهما في السريانيّة وفي ص ٢٤٢ من الباب الرابع حذف شهادة ديودورس برمّتها. وجاء في آخر هذا الجزء ما نصّهُ: « كمل الجزء الثالث من قول مار اسحق الرب يرحمنا بصلاته ». ثم الجزء الرابع فهو في رؤوس المعرفة وفيه شيء مقابل للطبعة الجديدة ص ٣٤١ وهو مشتمل على ستة ميامر في ٤١ صفحة ورد في آخرها: « كمل ما وجد من تعليم القديس العظيم مار اسحق ولربنا يسوع المسيح المجد والعظمة الى الابد آمين »

وجاء في آخر الكتاب:

« والناسخ المسكين . . . الذي بالاسم راهب . . . يسأل لكل من يقف على هذا الكتاب . . . اغفر خطايا عبدك غبريال . . . امين. وقد قيل في نسخة الاصل ان الاب يعقوب نقلها من السرياني الى العربي على يابس السرياني لاجل ان الذين يقلوا الكلام العربي اضاعوا فهمهُ الروحاني . . . فنقل هذه الكتب على اليابس ليكون يفهمهم من انار الربّ فهمه . . . وذلك بتاريخ اوّل بابه (تشرين الاوّل) سنة الف و ١٩٥ للشهدا الاطهار » اي سنة ١٤٥٣ م»

وجاء فيه كذلك:

« طالع في هذا الكتاب . . . الراهب يوحنا الرباني ابن العزيز في تاريخ اوّل شهر اذار سنة ١٩٧٤–١٦٦٣ م وهو وقف على الرهبان المقيمين في دير القديس ماري موسى الحبشي الكائن بالنبك »

وجاء في آخر صفحة بخط احدث من الاوّل ما معناه:

« جدّد وقنية هذا الكتاب . . . على يد مار موسي الحبشي من قرى النبك الشمّاس انطون ابن المرحوم شماس حنا ابن مقدسي الياس كجمون . . . في رئاسة الاب المحترم . . . ماري اغناطيوس كوركيس الرهاوي صاحب الكرسي الانطاكي سنة ٢٠٦٠–١٧٤٩ م وفي هذه السنة صار فتوح بلاد الهند اي اقليم مليبار على يد مار باسيليوس المفريان شكر الله ومضى الى عندهم حتى يرشدهم الى معرفة الحق لانهم كانوا غنم بلا راعي »

---

١) المكتبة الشرقية (الجزء ١ ص ٤٤٦)

الآداب العربيَّة
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

الادباء النصارى (تابع)

لم نتعرَّض في كلامنا عن الاسرة اليازجيَّة لذكر احد نجوم تلك الثريَّا المنيرة نريد الشيخ راجي اخا الشيخ ناصيف اذ لم نقف على شيء من اعماله وآدابه. ثم استفدنا من حاشية ذيَّل بها جناب الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف تاريخهُ الحديث «دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (١٩٩)» انَّ للشيخ راجي (١٨٠٣—١٨٥٧) ديوانًا مخطوطًا وانَّ شعرهُ يشهد لهُ بالبلاغة. وقد وقفنا لهُ في مجموع مراثي السيّد مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل اوَّلها:

معدن البرّ عند الطهر مكسيموسُ ربُّ الحجى حميدُ الخصالِ
من سرى في طريق مولاهُ حتَّى سبقَ السابقين بالإفضالِ
ونما صارفًا الى الله فعلًا بالتُّقى لا بالتاب والاعلالِ
كم محلٍّ سامٍ اشاد وكم من منزلٍ قد بنى من المجد عالِ
فجعتنا بهِ صروف زمانٍ جائرًا لا يزالُ في كلِّ حالِ
ورمتنا النبالُ منهُ الى ان لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ

وللشيخ راجي ابنٌ هو اليوم نزيل زحلة يدعى بالشيخ ملحم يتعاطى الآداب كابيهِ. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة ١٨٦٩ في وفاة الدكتور يوسف الجابخ مطلعها:

كؤوس البين دارت في الانامِ من الشيخ الكبير الى الغلامِ

الى ان قال:

طبيبٌ كان يشفي كلَّ داءٍ اذا اشتركت تباريحُ السقامِ
دهاه اليوم ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمٌ في الانامِ

واعقب فيهِ آل الجلخ سكرًا بكاس الحزن لا كاس المدام
واوقد بالأسى في كل قلب لهيبًا لا يزال في اضطرام

وختمها بقوله:

تركتَ العالم الغرّار طوعًا وبتَّ مجاورًا دار السلام
لئن تكُ قد رحلتَ اليوم عنّا فذكرك لا يزال الى الدوام

(آل المرّاش) كما برَّز اليازجيون الملكيّون في لبنان وبيروت بانصبابهم على العربيَّة في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مرّاش الملكيُّون يتقدَّمون في حلب اهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة. وبنو المرّاش عُرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المرّاش الذي قُتل في سبيل دينهِ سنة ١٨١٨ في حلب باغراء جراسيموس اسقف الروم الارثذكسي مع عشرة آخرين من الكاثوليك (اطلب قصيدة المعلّم نقولا الترك في رثائهِ في المشرق ١٠: ٦٦٤). وعُرف بعد قليل فتح الله المرّاش وكان لهُ المام بالعلوم اللغويَّة والادبيَّات ابقى منها آثارًا مخطوطة ثم اراد ان يخوض ميدانًا لم يكن من فرسانهِ فعثر جوادهُ وكبا زندهُ وذلك انهُ ألَّف سنة ١٨٤٩ كتابًا في انبثاق الروح القدس فزعم انهُ من الآب وحدهُ فدحض اقوالهُ الطيّب الذكر السيّد البطريرك بولس مسعد باثبت الحجج في كتاب طُبع في رومية سنة ١٨٥٦ فلمّا أُطلع عليهِ فتح الله المراش ارعوى عن غيّهِ واذعن للحق الواضح

وخلفهُ ابنهُ فرنسيس فنال شهرة طيّبة بذكائهِ ومعارفهِ وخلفتهِ الادبيَّة. ولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقَّن العلوم اللسانيَّة وآداب الشعر وانكبَّ على دراسة الطبّ اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء. واراد ان يتمّ دروسهُ في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفرهُ اليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٦٧. ولم يسعدهُ الدهر في غربتهِ فكرَّ راجعًا الى وطنهِ وتفرَّغ للتصنيف رغمًا عمَّا اصابهُ من ضعف البصر وانحطاط القوى حتى أفل نجم حياتهِ فمات في مقتبل الكهولة سنة ١٨٧٣. وكان فرنسيس صادق الايمان كثير التديُّن وقد ألَّف كتابًا بناهُ على مبادئ العلوم الطبيعيَّة والعقليَّة بيانًا لوجود الخالق واثباتًا لحقيقة الوحي سمَّاهُ «شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة» اعرب فيهِ عن دقَّة نظر ومعرفة بأحوال الطبيعة والعلوم العصريَّة. ومن مصنَّفاتهِ التي جمع فيها بين

الفلسفة والآداب فاودعها آراءهُ السياسيَّة والاجتماعيَّة على صورة مبتكرة كتاب «غابة الحقّ» الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ ثمّ كُرِّر طبعهُ في بيروت ومصر ومثلهُ كتاب «مشهد الاحوال» المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٣ على اسلوب لطيف ونسق حديث. وفي بيروت طبعت لهُ رواية حسنة دعاها «درّ الصدف في غرائب الصدف». ومما طبعهُ قبلها في حلب كتاب «المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعيَّة» (١٨٦١) لخَّص فيه اصول علم الطبيعة. ثم «خطبة في تعزية المكروب وراحة المتعوب» (١٨٦٤) وكتاب «الكنوز الفنيَّة في الرموز الميمونية» (١٨٧٠) وهي قصيدة رائيَّة في نحو خمسمائة بيت ضمَّنها رموزًا خفيَّة على صورة رواية شعريَّة. ومن نظمهِ ايضًا «ديوان مرآة الحسناء» طبعهُ لهُ المرحوم سليم بسترس سنة ١٨٧٣ في بيروت

وكان فرنسيس المراش يحبُّ في كلامهِ الترفُّع عن الاساليب المبتذلة فيطلب في نثرهِ ونظمهِ المعاني المبتكرة والتصوُّرات الفلسفيَّة فلا يبالي بانسجام الكلام وسلاستهِ فتجد لذلك في اقوالهِ شيئًا من التعقُّد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة. فمن شعرهِ قولهُ في الحماسة:

نبّهوا (كذا) من الغفلات يا اهل الوطنْ ... انَّ العدوَّ دنا وها نَقْعُ الفِتَنْ
حتَّى مَ انتم يا بُزاةُ روابضٌ ... هبُّوا فقد حام الغرابُ على الدِّمَنْ
هجم العدوُّ وها الغبارُ وانتمُ ... من ذا الغبار ستنسجون لهُ كَفَنْ
لا تخجلُ الغربانُ من سمة القلا ... يومًا اذا نهضَ العُقابُ من الوكَنْ
ناداكمُ الوطنُ الذي قد ضمَّكم ... في حضنهِ وسقاكمُ لبن المِنَنْ
كرُّوا الى الاعداء كرَّ الاسد يا ... أُسدَ الوفاء فهم ثعالبةُ الخَوَنْ
فامضوا لصوت ابٍ لكم يرجو الحمى ... منكم فهيًّا طاردوا عنهُ المِحَنْ
او ما ترون الدمع منهُ لاجلكم ... يجري فقوموا نشفوا دمع الوطنْ
لا يحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ ... لكن فدى الاوطانِ موتكمُ حسن

ولهُ في الزهريَّات:

هوذا الصباحُ بدا وبالانوارِ ... طُبعت وجوهُ الكونِ في الابصارِ
والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على ... قممِ الجبال امام جيشِ نهارِ
وعلى عمُود الصُّبح قد شاد الضحى ... بُرج النهار مسلَّحًا بالنارِ
والشرق اوتر قوس نورٍ وانثنى ... يرمي على الدنيا سهامَ شرارِ
والليل مزَّقَ ثوبَهُ حزنًا على ... فقد النجوم وغار في الاغوارِ

ما زال مَدُّ النور يرفع في العُلا جَزْرَ الظلام كعاصفٍ لغبارِ
حتى امتلى جوف الفضاء من الضيا وزهت بذلك كافَّةُ الاقطارِ
فترنَّمَ القمريُّ فوق غصونهِ طربًا وفاحت نسمةُ الاسحارِ
والندر هبَّ الى العلاء كأنَّهُ يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر:

رمت قلبي نبالُ الدهر حتى رأيتُ دمي يسيلُ من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغُ جسمًا لكنت اذيقهُ كأس المنونِ

وقال في خواصّ الجسم:

الجسمُ معروفٌ بستِّ خصائصٍ فيهِ فمنهُ قطُّ ليس تحولُ
عدمُ التداخل وامتدادٌ صورةٌ جذبٌ سكونٌ التجزّي قبولُ

ومن حكمهِ قولهُ:

صدّقوني كلُّ الانامِ سواءٌ من ملوكٍ الى رُعاةِ البهائمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ لا تَني في ولائمٍ او مآتمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى بالهُ والاسير في القيدِ ناعمْ
اصغرُ الخلق مثل اكبرها جر مًا لهذا وذا مزايا تُلائمْ
والخلايا للنحل اعجبُ صنعًا من قصور الملوك ذات الدعائمْ

وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيرهِ. ولهُ مآثر عديدة وفصول انشائيَّة وقصائد واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عيده كاصحاب الجوائب والنحلة والزهرة والجنان يطول هنا ذكرها. ومن جيّد وصفهِ قولهُ في الحسود:

قالوا لزيدٍ انَّ عمرًا فاز اذ ربحت تجارتُهُ بحظٍّ كيِّسِ
فازورَّ من غضبٍ وسكرج (?) عينهُ وتنفَّس الصعداء ايَّ تنفُّسِ
وغدا يقول مخرطمًا ومبرطمًا ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمَّا اخبروا عمرًا بان بكرًا غدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
ارغى وازبد خائرًا كالمعتري وانتاب سحنتَهُ ظلامُ الحندسِ
وانماز يصرخ قدم كذبتم فاصرخوا انَّ السعادةَ لا تُرى في المُتعَسِ
ورووا على بكرٍ بانَّ صديقهُ يحيى بعزٍّ بعد ذلٍّ قد كُسي
فانسابَ كالافعى وقال اعوذُ من عارٍ غدا متبخترًا في الاطلسِ
والكلّ يبدون المسرَّة كلَّما سمعوا بنائبةٍ سرت في الارؤسِ
تبًّا لبنيك ايُّها الانسان ما ابليسُ ربُّ النحسِ منكَ بانحسِ

ذي كبرياؤك يا لها من آفة ... كالأفعوان سمت لقتل الانفس

وقد رثاهُ الاديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ:

تركت يا مفردًا شانًا يذكّرنا ... شذاه كالمسك لمّا فاح في الطلل
من مشهد قد جلا الاحوال بان لنا ... منهُ عجائب افعال بلا خلل
ومن غرائب ما شاهدت من صدف ... اجى من الدرّ او اشهى من العسل
ورحلة سرتَ فيها قد حوت حكمًا ... صيغت من الدر من قول ومن عمل

ولفرنسيس المراش اخ واخت اشتهرا ايضًا بالآداب. فاسم اخيهِ عبدالله وُلد في الشهباء منتصف أيار سنة ١٨٣٩ فلقَّى كفرنسيس اصول الآداب في وطنهِ ثم خصّ نفسهُ بالاعمال التجاريَّة فسافر الى منشستر وتعاطى التجارة فيها من السنة ١٨٦١ الى ١٨٦٩ فأحرز لهُ فيها سمعةً حسنة بدرايتهِ واستقامة معاملتهِ. ثم جاء فرنسة واستوطن باريس الى سنة ١٨٧٩ ثم عاد الى منشستر فسكنها الى سنة ١٨٨٢ ثم حطَّ عصا الترحال في مرسيلية حيث توفي في اوائل سنة ١٩٠٠

وكان عبد الله المرّاش مع اشتغالهِ بالتجارة حريصًا على جمع الآداب مولعًا بالمطالعة والتوسُّع في العلم وكان يحبُّ على الخصوص الآداب العربيَّة فيهتمّ بآثار العرب وفنونهم يسعى طاقتهُ في انتساخ ما يحلو لهُ من كتابات القدماء ونوادر تآليفهم وقد تردَّد مدَّةً الى مكتبتي لندن وباريس لهذه الغاية. وكان يكاتب كثيرين من أدباء زمانهِ ورسائلهُ تدلُّ على فضلهِ طُبع منها جانب في النشرات الشرقيَّة. ومن آثار قلمهِ تعريب بعض التآليف الافرنسية ومقالات انتقاديَّة على كتابات آل عصرهِ (١

امَّا أخت فرنسيس فهي ماريانا المراش التي لا تزال في قيد الحياة وهي طاعنة في السنّ لها ديوان دعتهُ «بنت فكر» طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٩٣ فمن قولها الجيّد رثاؤها لفتاة:

ماذا حملتم على الايدي بلا حذرٍ ... ومن دفنتم نا هذي من البشرِ
هذي ملاك اتت للارض لابسةً ... جسمًا لطيفًا بدا للعقل والنظرِ
والآن عادت الى الفردوس مسكنها ... لهفي فلم يبقَ قلب غير منفطرِ
لو كان يشفي غليلَ المرء دمعُ اسًى ... لكان دمعُ الورى يُغني عن المطرِ
فالصبر موئلكم يا آلها ابدًا ... هذا لعمري قضاءٌ كان في القدرِ
فمن غدا صابرًا في الخطب محتسبًا ... ينال اكليل مجد العزّ والظفرِ

١) اطلب مجلة الضياء (٢: ٢٤٤, ٤٦١)

ونقشت على نعش اخيها فرنسيس:

ويلاه من جور دهر قد احلَّ بنا مصائبًا شأنها ان تصدع الحجرا
بشتَّت الشمل منها حيثما تركت تنفي الجميع ولا تُبقي لهُ اثرا

ومَّا نُقش لها على كيس تبغ:

احفظ ودادك في فؤادك كامنًا واثبت ولا تكُ مثل تبغ دُخانِ
نمواصف الانفاس تصعدهُ سدًى وترجعهُ في عالم النسيانِ
والودّ ضمن القلب نقطةُ مركزٍ كالارض ثابتةٍ الاركانِ

ومَّا نظمتهُ بيتان نُقشا على سترٍ يُسبل على صورة السيّدة البتول:

لمَّا سموتِ على الملائكِ والبشرْ وافاكِ جبريلٌ يبشّرُ بالظَّفرْ
وبكِ الخلاصُ غدا وابليس انقهرْ انتِ الشفيعة للخطاة ذوي الوزرْ

ولها على لسان امّ فارقتها ابنتها:

مذ غبتِ عني اخذتِ الروح بُنيَّ اذ تركتِ جسًا نحيلًا فاقد الجلَدِ
احرقتِ قلبي بنار الشوق جائرةً وما رحمتِ فيا قلبي ويا كبدي
عودي اليَّ رعاكِ الله يا املي يا نور عيني وردّي الروح للجسدِ

(رزق الله حسون) وفي هذا الزمان اشتهر حلبيٌّ آخر لعب دورًا مذكورًا في نهضة الآداب العربية. نعني بهِ رزق الله بن نعمة الله حسون. ولد هذا في حلب نحو السنة ١٨٢٥ وسافر الى الاستانة فتوطنها برهةً من الدهر وصار فيها ناظرًا لجمرك الدخان ثم تحوَّل في اوربة ودخل فرنسة وروسيَّة وحلَّ مدة في لندن وكان في اسفاره يشتغل بالاداب العربيَّة ويؤلف التآليف النثريَّة والشعريَّة. وكان خطهُ بديعًا وفي مكتبتنا الشرقيَّة من قلمهِ عدَّة كتب تأخذ بالابصار لجودة خطها واتقانها انتسخها في اوقات الفراغ في خزائن كتب اوربَّة كصبح الاعشى للقلقشندي وديوان الاخطل وديوان ذي الرُّمَّة والمتمّ لابن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والاناجيل المقدسة ترجمة الدبسيّ. وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ قدم الى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرّب مناشيرهُ واوامرهُ. ثم عاد الى انكلترة واشتغل بالتأليف في قرية وَنْدْورث (Wandsworth). ومما صنفهُ وقتئذٍ وُطبع في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٨٦٩ و١٨٧٠ كتابهُ «اشعر الشعر» اودعهُ نظم سفر أيوب ونشيد موسى في الخروج ونشيدهُ في التثنية ثم سفر نشيد الاناشيد

لسليمان وسفر الجامعة وختمهُ بمراثي ارميا. ودونك مثالًا من ترجمته وهو وصف أيوب للفرس :

فهل تُعطي الجوادَ يخبُّ عزمًا ونكسو عنقهُ عرفًا بسينا (؟)
أتوثبُهُ كمثل جرادة تنفسخُ منخرهِ مهيبُ الساميِنا
ببطن الحَبت بحاثٌ وثُوبٌ ببأسٍ يلتقي الحَرب الزَّبونا
ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى عن الاسياف لم يُحجم جبينا
تصلُّ عليهِ واقمةَ سهامٌ وترهقهُ رماحُ الدارعينا
ويطوي الارضَ في وَثب ورجزٍ ولم يُؤمن لصوتِ البوق حينا
اذا ما البوقُ يُنفَخُ قال هَهْ مِن بعيدٍ شُنَّتِ الهيجا شؤونا

وهذا مثال آخر من نظمهِ لمراثي ارميا :

أَنَّي خلا منها الانيسُ البلدةُ ملأى شعوبٍ بالجلاء تشتَّتوا
صارت كارملةٍ معظَّمة الملا امُّ القُرى ضُربت عليها الجِزْيَةُ

تبكي دمًا والدمعُ فوق خدودها فُقِدت عزاء خليلها ووَدُودها
اصحابها غدروا بها طُرًّا على غطرِ العدى اضحوا شمات حَسُودها

ومما طُبع لهُ في المطبعة الاميركيَّة «كتاب السيرة السيِّديَّة على ما اداهُ الينا المبشّرون الذين كانوا شهداء الكلمة . رتَّبها هذا النسق تتبعًا لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا الى صعود الربّ». وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الاناجيل الاربعة وقد طُبع في مطبعتنا كتاب من جنسهِ وهو المعروف «بالقلادة الدريَّة في الاربعة الاناجيل السنيَّة» للاب يوحنا بلو اليسوعي

ومن مآثر رزق الله حسُّون كتابان آخران طبعهما في لندن : الاول كتاب النفثات ضمَّنهُ اربعين مثلًا من امثال احد كتبة الروس يُدعى ايڤان اندريفتش كورلف (I. A. Kurlov) فنقلها حسُّون الى العربيَّة ونظمها شعرًا والحقها ببعض مقاطيع شعريَّة من نظمهِ والتعسُّف في كثير منها ظاهر واغلاطها عديدة هذا منها مثال :

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى أن تدانى الى سهُول البقاعِ
طارقًا لحظيرةٍ ناظرًا من نُقب صخر يلوحُ ضوءُ شُعاعِ
فرأى الغَنَمَ الساكين والسكّين في كفّ حاسرٍ عن ذراعِ
يذبَحُ الحَمَلَ السمين ويُلقي للمَرَى الكرشَ والمعي في القناعِ
والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا ينبح نُداعي

فقفى عجباً وولى كئيباً خائباً من مرامهِ والمساعي
قائلاً يا كلابُ كم تنبحوني لو تصدَّيتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعهُ سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن في ٣٣ صفحة وقد طُبع هذا الديوان طبعة اخرى افضل من الطبعة السابقة واكمل منها على يد احد المستشرقين الالمان اسمهُ شولتِس (Schulthess)

وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيًا وذلك ما الجأهُ الى سكنى لندن في آخر حياتهِ وهناك طبع جريدتهُ مرآة الاحوال سنة ١٨٧٧ وكان سبق قبل ذلك بمدة طويلة فنشرها في الاستانة فكانت اقدم الجرائد العربية فيها (١). اما وفاة المترجم فوقعت نحو السنة ١٨٨٠ مات فجأةً في لندن. وكان رزق الله حسون صديقاً لأدباء زمانهِ يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة:

خدينَ المعالي وابن مجدها الفردُ بقيت بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرشِ اسنى كرامة قرينٌ بها الاقبال والفخرُ والمجدُ
ولا زلتَ في امنٍ وموفور نعمةٍ ويمن ايادٍ كسبُها الشكرُ والحمدُ
وبعدُ فقد طال البعادُ ومهجتي يكادُ من الاشواق يضرُمها الوجدُ
وما ليَ عن لقياك صبرٌ ولا غنًى ولكنَّ خَطْبَ الدهر ما بيننا سدُّ
ألا بئسما الايامُ اغرت يد النوى بنا فاستطالت ريشما قصر الجدُّ
موانع حالت دون فرضِ زيارتي وقد كنتُ ارجو ان يكون لك وفدُ
واصبحتُ من ابطائكم في هواجسٍ تحيّرني لا يهتدي نحويَ الرشدُ
فابني للاطمئنان منكم ألوكةً اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصدُ

وممَّا نظمهُ فيهِ المعلم بطرس كرامة ابيات قالها لمَّا اقترن سنة ١٨٤٨ بسيّدة تدعى ماتلد فقال:

نهاديك يا نجلَ الفؤادِ تهانياً تنبّئُ عن افراحنا حينما تبدُو
بخيرِ اقترانٍ جاء وهو مبارك يقارنهُ برٌّ ويصحبهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ وعيشٍ رغيدٍ بُرْدهُ الامن والرغدُ
زفاف سعيدٌ والهناء مؤرخٌ موافٍ لرزق الله بالخير ماتِلدُ

(لهُ بقيَّة)

---

(١) اطلب مجلة الهلال (٨: ١٤٦ و٢٢٤)

مطبوعات شرقية جديدة

Sechster Band des Kitâb Baġdâd von Aḥmad ibn Abi Ṭâhir Ṭaifûr, herausgegeben und übersetzt von Dr H. Keller, 2 Th., ٣٨٣ +XXVI-160, *Leipzig, Otto Harrassowitz*, 1908

الجزء السادس من تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر طيفور

احمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور احد مشاهير ادباء العرب في القرن الثالث للهجرة مولدهُ سنة ٢٠٤ ووفاتهُ سنة ٢٨٠ (٨٢٠—٨٩٤م) وقد عدَّ لهُ من التآليف ابن النديم في الفهرست (ص١٤٦) خمسين كتابًا ولم يبقَ من هذه المصنفات الَّا ثلاثة او اربعة. منها بعض اجزاء من كتابهِ الشهير المنثور والمنظوم في لندن ومصر ومنها كتاب بلاغات النساء الذي طبعهُ موَخرًا في مصر الاديب احمد افندي الالفي بايعاز الشيخ الهمام المحقق طاهر الجزائري. ومن انفس مصنَّفات ابن ابي طاهر تاريخ بغداد وهو على ما يُظنّ اوَّل تاريخ وُضع لها (اطلب كشف الظنون للحاج خليفة ed. Flügel, II ۱۱۹) ولم يسلم من هذا الكتاب على آفات الدهر سوى جزئهِ السادس كان محفوظًا في خزانة مخطوطات لندن العربيَّة فاستخرجهُ منها جناب الدكتور الالماني ه . كلر واستنسخهُ باليد وطبعهُ على الحجر في ليبسيك ثم نقلهُ الى الالمانية وعلَّق عليهِ الملحوظات المفيدة في مقدَّمتهِ. ولا يخفى ما في نشر هذا الاثر من عظم الشأن لتاريخ ذلك الزمان وهذا الجزء السادس يتناول اخبار المأمون من سنة شخوصهِ الى بغداد في السنة ٢٠٤ وهي سنة مولد المؤلف الى وفاة الخليفة المذكور مع ما يَنوط باحوال زمانهِ والادباء والشعراء الذين اختلفوا الى مجلسهِ. وقد اخذ عنه القدماء كالطبري في تاريخهِ وابن عبد ربّهِ في العقد الفريد وغيرهما ايضًا. الَّا ان صاحب الفهرست لم يعتبر كثيرًا علم ابن ابي طاهر فقال عنهُ (ص١٤٦): «ولم ارَ ممن تشهَّر بمثل ماتشهَّر بهِ من تصنيف الكتب وقول الشعر اكثر تصحيفًا منهُ ولا ابلد علمًا ولا ألحن» لكنهُ اقرَّ بادبهِ فقال: «وكان مع هذا جميل الاخلاق ظريف المعاشرة». امَّا هذه الطبعة فهي بالاجمال حسنة وربَّما وقع في ضبط الالفاظ اغلاط يطول بنا ذكرها ولعل النسخة الاصليَّة هي المغلوطة. وقد روى جناب الدكتور في الصفحة ٢١ من كتابهِ ابياتًا دالية لابي العتاهية فذيَّلها بهذه الحاشية:

« لا وجدتُ (كذا) هذه الابيات في الديوان لابي العتاهية » ولو راجع الطبعة التي نشرناها من هذا الديوان (ص ٣٢٨) لوجدها. ومن محاسن الكتاب فهرسان للاعلام الشخصية ولاسماء البلدان المذكورة في فيهِ ل·ش

The History of the Governors of Egypt, by Abu 'Umar Muhammad Ibn Yûsuf al Kindi ed. by N. A. Koenig. *part I. New York*, 1908, p. 66.

تسمية وُلاة مصر للكندي

ابو عمر محمَّد بن يوسف الكندي مؤرخ مصري ولد سنة ٢٨٣ للهجرة وتوفي سنة ٣٥٠ (٨٩٦–٩٦١م) وكان من اجلّ الكتبة في السير والاخبار الّا ان اكثر تآليفهِ قد لعبت بها يد الدهر الّا كتاب تسمية ولاة مصر وكتاب تاريخ القضاة وكلاهما في خزانة لندن الغنيَّة بآثار العربيَّة وليس منها نسخة ثانية. وقد اخذ العلماء في نشر هذين الاثرين وها قد ارسلت لنا جمعيَّة مكملان (the Macmillan Company) الساعية بطبع الكتب القديمة الجزء الاول من تسمية الولاة الذي يتولى طبعهُ الدكتور كونيغ. وفي نشر هذا الكتاب عدَّة فوائد لانَّهُ يحتوي من المعلومات ما يعزّ وجودهُ في كتاب اقدم منهُ وقد ضبط ناشرهُ طبعهُ وراجع لذلك عدَّة مطبوعات ومخطوطات عن مصر لاصلاح ما وقع في الاصل من الاغلاط. وقدَّم على الكتاب فصلًا واسعًا في تعريف مؤلفهِ وبيان خواص تآليفهِ. ومن غريب الاتفاق ان هذا التأليف يهتمّ بطبعهِ في وقت واحد عالمان جليلان الدكتور كونيغ المذكور والعلامة غست (Guest) ولعلّ كلّ واحد باشر بهِ دون معرفتهِ بعمل رصيفهِ ل·ش

Le P. Cyrille Charon: Le quinzième Centenaire de S^t^ Jean Chrysostome (407-1907), *Rome*, 1909, XVI-413.

المئة الخامسة عشرة لوفاة القديس يوحنا فم الذهب

يذكر قراء المشرق (١١ : ١–١٣) ما كتبناهُ بنسبة الحفلات اليوبيليَّة التي أُقيمت العام الماضي في البلاد الكاثوليكية ذكرًا للذهبيّ الفم. وكانت شقيقتنا جريدة البشير تروي اخبار الاعياد الشائقة التي أُقيمت في عاصمة الكثلكة باتحاد الاكليروسين الغربي والشرقي. وممن حضروا تلك الحفلات واشتركوا في بهجاتها حضرة الاب كيرلس شارون اليوناني الملكيّ الكاثوليكيّ نزيل بيروت سابقًا واحد الكتبة المتضلعين بامور

الشرق الساعين بازالة ذات البين في فروع الكنيسة اليونانية . وقد رأى حضرتهُ ان لذلك التذكار من خطر الشان والمعاني الادبيَّة ما يستحقّ ان يدوَّن في صحائف الاوراق بل يُرقم باحرف عسجديَّة على صفحات القلوب فتتبَّع تفاصيل تلك الحفلات ووصفها وصفًا مدقَّقًا واظهر ما كان لها من الوقع الحسن في كل القلوب ثم وسَّع نطاق شغلهِ واثبت ما جرى من المظاهرات في بلاد كثيرة بنسبة تلك الاعياد واستطرد منها الى ذكر تاريخ الكنيسة البوزنطية وتبدُّدها واتساعها ولغاتها وخلاصة اخبارها في البلاد المختلفة . وقد خصَّ قسمًا كبيرًا من تأليفهِ بعلاقات الكنيسة البوزنطية مع مركز الوحدة الكاثوليكية وبحث عن اسباب الفراق ووسائل الاتفاق حتى جاء الكتاب جامعًا شاملًا لاخبار ومعلومات لا تُحصى قلَّما يجدها ارباب البحث في الكتب المطوَّلة فنجدّد تهانئنا لحضرة المؤلف عن هذا الاثر الجديد المنبئ بتفانيهِ في سبيل الشرق وخدمة اهلهِ ونحضّ مواطنينا على تسريح البصر في تأليفهِ الاثير ل . ش

REALENCYKLOPAEDIE[3] HERZOG-HAUCK, XXI Band: Wandalbert-Zwingli 1908, *Hinrichs.*

دائرة العلوم البروتستانيَّة

هو المجلَّد الحادي والعشرون وختام تلك الدائرة العلميَّة التي تكرَّر فيها الكلام في اعداد المشرق السابقة ومن عجيب التوافق ان هذا التأليف البروتستاني ينتهي باسم زونكلي الذي يدخل في لفظهِ اواخر حروف الهجاء الاوربية (Z W) وهو مع ذلك آخر زعماء الاصلاح الموهوم . وهذا القسم كالاقسام السابقة مفيد خصوصاً بما سُطّر فيهِ من تراجم علماء البروتستانت . وما استوقف فيهِ نظرنا ما عدا ذلك مقالة العلامة بنزنغر (Benzinger) في الخمر (WEIN) وتربية الكرمة وفقًا لمعلومات التوراة . ومقالة كوتش (Kautzsch) في عدد بني اسرائيل ثم مقالة الاستاذ كيتل (Kittel) في تاريخ التوراة منذ آدم الى المسيح . وقد أُلحق المجلد بخمس مقالات سها الكتبة عن اثباتها في الدائرة فاردفوها بها اخصُّها مقالة الدكتور برتو (Bertheau) في التاريخ الكنسي ومقالة هولدر اكّر (Holder-Egger) في ترجمة غليلموس الصوري . وقد ارسل لنا المتولّي لطبع الكتاب كرّاسًا فيهِ جداول مختلفة كاسماء مصنّفي هذه الدائرة ومقالاتهم ومن ذلك يؤخذ ان اكبر العلماء البروتستانت اشتركوا في تأليفها دون تمييز في شيعهم

وآرائهم المتباينة فمنهم المحافظون ومنهم الاباحيّون وفي مقالاتهم ما يُشعر بمذاهبهم . وفي الكرّاس نفسه ملخص عدّة مقالات بعدّها هولاء الكتبة ليضيفوها الى الدائرة في مجلّد نهائي وفيه يودعون ايضاً فهارس شتى اخصها فهرس عام لكل الموادّ المودعة في الدائرة على ترتيب الحروف المعجم الاب سبستيان رنزفال

GRANDEUR ET DÉCADENCE DE ROME par **G. Ferrero**, T. VI. AUGUSTE ET LE GRAND EMPIRE. Trad. de **M. U. Mengin**, 1908.

ارتقاء رومية وهبوطها : امبراطوريّة اوغسطس

هوذا الجزء السادس لكتاب وصفناه غير مرّة واثنينا على فضل صاحبه وحسن ترجمته من الايطاليّة الى الافرنسيّة . وهـذا القسم يشتمل على اعمال اوغسطوس قيصر في الاربعين سنةً التي استبدّ فيها بالملك بعد انقراض الجمهوريّة فبلّغ رومية الى اوج الرفعة والشرف . ولم يكتفِ السيو فريرو بتسطير مآثر القيصر واعماله الخطيرة بل بحث ايضاً عن الاسباب التي مكّنت اوغسطوس من تقرير سلطتـه وتنفيذ رغائبه وانشاء مملكة ثبتت من بعده مدّة اربعة اجيال . وقد بيّن المؤلف انّ اوغسطوس فاز بالمقصود بحكمته فعرف كيف يجمع كلمة الرومان في انحاء الدولة وذلك انهُ ربطهم بروابط اقتصاديّة غاية في الرقّة علّلت كثيراً من الحوادث التي جرت في تلك الاثناء فنكرّر شكرنا لمؤلف الكتاب ولمترجمه الذي قرّب الينا فوائده ر . ش

LE LIVRE D'AMOS par **J. Touzard** 1 vol. in-16 (de la Bibl. de l'enseignement scripturaire). *Paris, Bloud et C^{ie}*

تفسير نبوّة عاموس

تألّفت جمعيّة افرنسيّة في باريس قبل بضع سنوات لنشر الاسفار المقدّسة وشرحها فابرزت عدّة تآليف في هذا المعنى كان مدارها على اسفار العهد الجديد . وها هي قد باشرت ايضاً تفسير بعض اقسام العهد القديم واوّل آثارها سفر عاموس النبي عُني به الخوري توزار احد اساتذة المكتب الكاثوليكي في باريس . فنقلهُ الى الافرنسيـة عن النص العبراني نقلاً يشهد لهُ بالمعرفة الواسعة في اللغة العبرانية التي صنّف فيها غراماطيقاً كبيراً ثم علّق عليه الحواشي اللغويّة والتاريخيّة والادبيّة لكشف القناع عن مشاكله المتعدّدة . وقد صدّر هذا التفسير بمقدّمة طويلة بحث فيها عن المطالب المنوطة بصاحب ذلك السفر وزمانه واحواله وظروف نبوّته ولغة كتابه . وقد اجمع اهل الانتقاد على

انهُ اصاب المرمى · ومما يشهد على استحسان العلماء لعملهِ انَّ كتابهُ انتشر بكل سرعة حتَّى اضطرَّ الى اعادة طبعهِ بعد استفادته من ملحوظات العلماء لتحسينهِ س٠ د

Daremberg - Saglio - Pottier. Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines, 42ᵉ fas., SACRIFICIUM-SCULPTURA, *Hachette*, 1909.

معجم العاديات اليونانية والرومانية

يُفتتح الجزء الحادي والاربعون من هذا المعجم بتتمة فصل الذبيحة (Sacrificium) للعلامة تونان (Toutain) ومما يصرّح بهِ الكاتب في هذه المقالة انهُ لا يوجد علاقة البتة بين الذبائح الوثنية والذبيحة المقدسة في الكنيسة · وقد زيّف في هذا الصدد الاوهام التي اخترعها الانكليزي فرازر (Frazer) في مذهبهِ التوتمي (théorie totémique) واشاعها من بعده في فرنسة الكاتب الشهير الاسرائيلي سالمان ريناخ · وكل هذا الجزء من المعجم منعم بالموادّ المفيدة والمقالات الهامّة فيظهر بها فضل مديره الجديد المسيو پوتيار الذي خلف المسيو دارمبرغ بعد موتهِ وربَّما سدَّ مسدَّ المسيو ساغليو العاجز · ولا يكتفي المسيو پوتيار بتصنيف المقالات الجليلة بل اختار لمساعدتهِ رجالاً ممتازين بعلومهم وانسجام كتابتهم · وقد استحسنَّا في هذا القسم مقالات المسيو سيشان (L. Séchan) في الرقص (Saltatio) والمسيو كاهن (E. Cahen) في النواويس (Sarcophagus) ومادَّة زحل (Saturnus) للمسيو هيلد (Hild) ومادَّة الحفر (Sculptura) للمسيو دي فوفيل (de Foville) وخصوصاً مادَّة الخط (Scriptura) للمسيو جاكوب (Alf. Jacob) وكل هؤلاء الكتبة يعرفون من اين تؤكل الكتف فتراهم في مقالاتهم لا يهملون شيئاً مما يحتاج العلماء الى معرفتهِ فيجمعون معلومات عديدة في صفحات قليلة · وتراهم في العاديات الشرقية اساتذة ماهرين لا يفوتهم منها شيء · ومثال ذلك مقالة المسيو سورلين دوريني (Sorlin-Dorigny) في الصولجان (Sceptrum) فنكفي بهذا المعجم دليلاً على ترقي العلوم الاثرية في فرنسة س٠ د

L'abbé Bonnin: Les Saints Evangiles, In-16, pp. 352, 4 similigravures: relié, 50

الاناجيل المقدسة

انَّ قداسة الحبر الاعظم كان في السنين الاخيرة حضَّ الكتبة الكاثوليك على

نشر الاناجيل بين كلّ طبقات الجمهور لتقتبس منهُ الجموع نورًا وهدًى فيُحيوا به نفوسهم وينعشوا قواهم في اتمام وصاياه تعالى وصبرهم على شدائد الدنيا. فلبّى كثيرون دعوة الحبر الاعظم ومنهم صاحب هذا الكتاب الذي كان سبق ونشر تأليفًا في مطالعة الاناجيل وتأمل مضامينها في ٥٠٩ صفحات فاثنى على همّتهِ الحبر الاعظم. ثم عاد المؤلف مؤخرًا وطبع هذه الاناجيل على صورة تقرّبها من مدارك الشعب والبسطاء كالعملة والاحداث. والكتاب يحتوي ما خلا نصوص الاناجيل الاربعة بعض شروح وجيزة واضحة اثبتها في ذيل الصفحات ليزيل بها الشبهات المتبادرة الى العقول. وقد جعل المؤلف ثمن الكتاب متهاودًا بغيةً في رواجهِ ب. ج

ديوان ابن هانئ الاندلسيّ

عُني بطبعهِ طبعةً مصحّحة مع تفسير بعض الفاظهِ اللغويّة محمد افندي انيس محيو بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٣٢٦ (ص ٢٤٦)

انّ مقام ابن هانئ في الاندلس والمغرب كمقام ابن الطيّب في بلاد الشرق حتى دُعي بمتنبي المغرب وقد عاش كلاهما في قرن واحد وتشابها في عدّة امور كجودة القريحة وابتكار المعاني وفنون الكلام والمذاهب الفلسفيّة لكنّ ابن هانئ اسهل طريقة واطبع شعرًا تتدفّق منهُ المعاني الشعريّة كالماء الزلال يتبجّس من معينهِ ويتسلسل في مسيله فلا تكدّر صفاءهُ شائبة حتى ضُرب بشعرهِ المثل فقيل :

ان تكن فارسًا فكن كعليّ او تكن شاعرًا فكن كابن هاني

فلا غرو ان يُقبل الناس على ديوانهِ وقد طُبع مرّة اولى في مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) ثمّ تكرّر طبعهُ في قرننا وهذه الطبعة البيروتيّة الرابعة لا تختلف كثيرًا عن الطبعات السابقة الّا في شرح بعض الفاظ غريبة. ونؤمل من جناب ملتزم نشرهِ ان يُعدّ لهُ طبعة اخرى مضبوطةً بالشكل الكامل ويتوسّع في شرح الالفاظ ويضيف اليهِ ما هو اهمّ وانفع اعني تفسير المعاني والاغراض ان شاء الله ل. ش

كتاب تحفة الانام : مختصر تاريخ الاسلام

تأليف الشيخ عبد الباسط افندي فاخوري. طُبع في بيروت سنة ١٣٢٠ (ص ٢٨٦)

هو مختصر مفيد يتناول اخبار الاسلام منذ الخلفاء الراشدين الى عهد جلالة

السلطان عبد الحميد اختارهُ المأسوف عليهِ الشيخ عبد الباسط فاخوري مفتي بيروت سابقًا وضمّنهُ ما يحتاج احداث المدارس الى معرفتهِ من تاريخ المسلمين. أما الأدباء فيلزمهم الرجوع الى مصادر اوسع وادقّ لانّ الكتاب على طريقة التآليف السابقة لعهد الحرية التي لا تروي في الغالب غير الحسنات وتسكت عن السيئات فيأتي التاريخ مخلًّا ومن شأنهِ ان يكون صورة الوقائع يرويها المصنف كما هي دون ميل ولا غرض بل لو تتبّعنا صفحات الكتاب لوجدنا فيهِ اشياء كثيرة مخالفة للواقع وللمؤلف عذرٌ مبسوط في ما كتب نظرًا لمراقبة المطبوعات في زمانهِ التي جعلت التاريخ على قول احد كبار المتقدمين «مكيدة على الحق» ل. ش

I Catalogue des Manuscrits arméniens et géorgiens de la Bibl. Nationale de Paris par F. Macler. in-8, pp. XXX-204, *Paris, E. Leroux*, 1908.

II Formules magiques de l'Orient Chrétien, par le même, in-8, pp. 25, *ibid.*

قائمة مخطوطات باريس الارمنيّة والكرجيّة — كتاب الرُّقى

اتحفنا السيو ماكلر المستشرق الفرنسوي بهذين الكتابين فالاوَّل منهما يحتوي وصف المخطوطات الارمنيّة والكرجيّة المصونة في خزانة كتب باريس العموميّة وهي عبارة عن ٣٤٩ كتابًا منها بالارمنيّة ٣٢٣ و٢٦ بالكرجيّة. وقد افتتح كتابه بتاريخ اقتناء تلك المخطوطات التي كان عددها في القرن السادس عشر لا يزيد عن ١٣٨ كتابًا ابتاعها في الشرق الكاهن الفرنسوي فرنسيس سيڤان (Fr. Sevin) على عهد هنريكوس الرابع ووصفها الخوري دي ڤيلفروا (de Villefroy) في قائمة نشرها سنة ١٧٣٥. ثم أعيد طبع تلك القائمة سنة ١٨٦٧ بهمّة الراهب المكيتاري بارونيان وكان في وقته عدد المخطوطات ٢٤٧. ثم زادت عشرين كتابًا فوصفها الخوري مرتين (J. P. Martin) سنة ١٨٧٨. والقائمة الجديدة اضبط وادقّ من القوائم السابقة اذ تعرّف كل كتاب بقطعه واقيسته وتاريخه وموضوعه مباشرةً بالاسفار المقدسة فالتفاسير فالطقسيات فسِيَر الآباء والمواعظ فالمصنّفات اللاهوتيّة فالجدليات فالحق القانوني فتراجم القدّيسين فالتاريخ ثم الفلسفة والطب وعلم الهيئة وفي آخرها اللغويّات والآداب النثريّة والشعريّة. ولا يخفى ما في هذه القوائم الكتبيّة من الفوائد الجليلة لاسيما ان مكتبة باريس تُعَدّ من اغنى المكاتب بالمخطوطات الارمنيّة لا يسبقها في العدد الّا

لاربع مكاتب فقط في كل المعمور

اما الكتاب الثاني فهو كرّاس صغير وصف فيه المسيو ماكلر مخطوطاً سريانياً يدعى كتاب الوقاية (ܟܬܒܐ ܕܢܛܘܪܐ) وُجد في جهات اورميا وهو يتضمن رُقى وعُوَذاً يلتجئ اليها بعض العامة في تلك الجهات فيخلطون صلوات حسنة او آيات من الانجيل بالفاظ سحرية لينجوا على زعمهم من العين ومن الامراض او بعض الآفات كالفار والنمل. وغاية المؤلف من نشرها ان يعارضها بعادات وخرافات شائعة في بعض البلدان بين العرب والارمن والروم. على اننا وجدنا المسيو ماكلر قد بالغ في بعض مزاعمه فنسب الى الخرافة ما هو خالٍ من كلّ اعتقاد باطل كالتجاء الناس الى بعض القدّيسين في ادوائهم وحاجاتهم فانّ ذلك جائز صالح ما لم يُدخل فيه الجهّال نوافل تأنف منها العبادة الصحيحة الاب فرنسيس تورنبز

مرور في ارض الهناء ونبأٌ من عالم البقاء

لمؤلفه شكري الخوري اللبناني

طُبع في سان باولو «برازيل» سنة ١٩٠٥ (ص ١٣٦)

الاديب شكري افندي الخوري احد الكتبة الذين احيوا اللهجة العامية ولهُ في ذلك المصنّفات المبتكرة التي سبق لنا تقريظها في المشرق (٥: ٦٢١ و٨: ١٨٩) وهذه شعبة من تلك الدوحة يجد فيها القارئ ما أنسهُ في المؤلفات الاولى من طيب نفس المؤلف ومعرفتهِ لاحوال مواطنيهِ ووصفهِ لعادات اللبنانيين ومزجه الجدّ بالفكاهة اما موضوع الكتاب الجديد فسفرٌ وهميّ يتجشّمهُ المسمّى بابي الاجران الى عالم البقاء حيث يلتقي فنيانوس بطل التحفة العاميّة ويحضر هناك دينونة كثير من اهل الشرق ولاسيما من لبنان فيطالبهم الديّان عن سيئاتهم ويجازيهم عن آثامهم. وهو تصوّر بديع سبق اليهِ دانتي وغيرهُ من الكتبة لانتقاد اعمال الامراء والمأمورين. لولا انّ الكاتب ادخل فيه اشياء لا يقبلها العقل فذهبت ببعض محاسنهِ كالنزاع بين الملاكين المرافقين لابي الاجران الى ارض الهناء. ومنها الفاظ مضحكة أتى بها في غير اوقاتها على لسان الديّان. ومنها ختام الرواية الذي جاء مبتوراً فلا يعلم القارئ ماذا حلّ بابي الاجران فكان يجب ان يعود بهِ الى عالم الكون بعد تفتيهِ عنهُ او يجمل الرواية حلماً استفاق منهُ او غير ذلك. فنشير الى المؤلف ان يعيد النظر في هذا التأليف فيحسّنهُ وينفي عنهُ تلك

الفضوليَّات ولاسيا الاعلانات التجاريَّة التي لا تليق بهِ في آخرهِ ل٠ش

جغرافية لبنان

بقلم لحد صعب خاطر

طُبع في المطبعة الحميدية سنة ١٩٠٩ (ص ٨٨)

نعم الفكر عرض لخاطر المؤلف ان يُنشئ كتابًا مختصرًا يجعلهُ في ايدي احداث المدارس اللبنانيَّة ليتلقنوا منذ نعومة اظفارهم مبادئ جغرافيَّة وطنهم. وقد وضعهُ على طريقة السؤال والجواب وهي اوفق للتعليم وارشد الى الصواب. والكتاب مقسوم الى اربعة اقسام بحث في الأول عن الجغرافيَّة الابتدائيَّة فضمَّنهُ بعض المعلومات العموميَّة في اسم لبنان وموقعهِ ومساحتهِ واهلهِ ولغتهِ. وخصَّ الثاني بالجغرافيَّة الطبيعيَّة كهيئة لبنان ومناخهِ وتقاسيم ارضهِ وجبالهِ وسهولهِ وبحيراتهِ وسواحلهِ. وافاض في الثالث في جغرافيَّتهِ السياسيَّة وتعريف متصرفيَّتهِ واقضيَّتهِ ونواحيهِ وما ينوط بها من الافادات. امَّا القسم الاخير فهو مختص بالجغرافيَّة الاقتصاديَّة فيصف محصولات لبنان وصادراتهِ ونباتهُ ومعادنهُ وصنائعهُ وحرَفهُ. فمن هذا النظر الاجمالي ترى فوائد الكتاب لارباب المدارس. وغاية ما نرغب ان يسعى صاحبهُ بتحسينهِ واصلاح اغلاطهِ فانَّ فيهِ اموراً كثيرة تحتاج الى ضبط ودقَّة نظر ورجوع الى مصادر يوثق بها فمن ذلك عدد سكان القرى فلا نعلم الى اي سند استند في احصائهِ فانَّ عددهُ لا يوافق ما اثبتهُ جناب ابراهيم بك الاسود في دليل لبنان. وكذلك شروحهُ لأعلام الجبل كان الاولى بهِ ان يضرب عنها صفحًا وهو مبحث عريض لا يحتاج اليهِ الاحداث. وغير ذلك مما يطول بنا تعدادهُ يستدعي الاصلاح. ثمَّ انَّ الجغرافيَّات المدرسيَّة تضيف الى اقسامها نظراً تاريخيًا في ما تتناولهُ وصفهُ وهذا الكتاب خالٍ من ذلك القسم ولعل المؤلف احسَّ بما في هذا الامر من العقبات فأحسن بالاضراب عنهُ ل٠ش

شذرات

موت الكافر ڤولتار اختلف المؤرخون في ميتة ڤولتار الملحد الشهير فمن قائل انَّ موتهُ كان بسكينة وهدوٍّ كما هو شأن الفلاسفة الحكماء (كذا) بل بفرح وبهجة كما سبق وتنبَّأ عن نفسهِ ومن زاعم انَّهُ مات اسوأ ميتةٍ متوقعًا لحكم

الدَّيان الرهيب بعد حياةٍ مملوءة اثماً وشرّاً تساوره غارات اليأس وترهقهُ مناخس الضمير.
فأحبّ المسيو لاشڤر (F. Lachèvre) ان يقف على الخبر الصحيح فلم يزل ينقب في زوايا المكاتب حتى وقف على مخطوط واسع كُتب في سنة وفاة ڤولتار ١٧٧٨ . وكان هذا الزنديق توفيَ في ٣٠ أيار منها . اما تاريخ المخطوط فيمتدُّ من حزيران الى غرّة كانون الاوَّل من تلك السنة . عُني بنقلهِ عن اوثق المصادر وشهود العيان رجلٌ متزه عن كلّ غرض فاجتمع بكلّ الذين حضروا وفـاة زعيم الملحدين اخصهم الجرَّاح تري (Try) والطبيب بريزار (Brizard) والكاهنان غرتيار (Gaultier) ودي ترساك de Ter- (zac والممرّضتان روجار (Roger) وبردي (Bardy) وكان هؤلاء كلهم يخدمون ڤولتار او يتردَّدون اليـه في مدَّة مرضهِ الاخير ودوَّن تقاريرهم كما سمعها . فنشرها بالطبع لاوّل مرَّة المسيو لاشڤر وجاء المطبوع كتاباً كبيراً لا يقلّ عن ٢٠٨ صفحات وفي صدره مقدَّمة طويلة لتعريف المخطوط وبيان خطرهِ وتعريف الذين كتبوهُ . وقد ذيَّل الناشر كتابهُ بحواشٍ متعدّدة اخذ معظمها عن المعاصرين (١ وهذه خلاصة الكتاب :

وصل ڤولتار الى باريس في ١٠ شباط سنة ١٧٧٨ على بغتةٍ فقام اصحابهُ وقعدوا واعدُّوا لهُ الحفلات والولائم اذ انقطع لهُ فجأةً شريان من عروق صدرهِ فاصبح على قاب قوسين من آخرتهِ فللحال اسرع الكاهنان الآنَ ذكرهما فعرضـا على ڤولتار ان يقبل الاسرار الدينيَّة فاجاب الى سؤلها خوفاً من أن يُدفن بعد موتهِ دَفن البهائم في تُربة غير مقدَّسة . فدخل عليهِ الكاهن غرتيار فاقنعهُ بان يعترف بذنوبه لكنَّهُ اشترط عليهِ بعض الشروط اللازمة التي لم يرضَ بها فسوّف الاعتراف الى وقتٍ آخر . ثم تحسنت صحَّة المريض نوعاً فظنَّ انَّ ساعة موتهِ لم تحن بعد وعاد الى شغلهِ ونفى عنهُ فكر الابديَّة لكنَّ المريض بعد قليل انتكس فاضطرب لذلك ولزمهُ الأرَق في ليلهِ فكان يتململ في فراشهِ كانهُ على جمر النار . فارسل اليهِ الفريق دي ريشليو زجاجة فيها شراب الافيون فجرعها في نوبةٍ واحدة بدلاً من تقسيمها في دفعات شتى فكان ذلك داعياً لتفاقم الداء في اواسط أيار . ومـنـذ ذلك اليوم الى يوم وفاتهِ ذاق ڤولتار الموت الوانًا فكان يئن ويزفر ويسبّ

١) وهذا اسم الكتاب: Voltaire mourant, enquête faite en 1778 sur les circonstances de sa dernière maladie, publiée sur le manuscrit inédit et annotée par FRÉDÉRIC LACHÈVRE. In-4, XXXIII-208 pp, *Paris, H. Champion*, 1908.

ويشتم وربما ضرب الذين يهتمّون بهِ او رماهم في راسهم بما وقع تحت يدهِ فجرحهم وآذاهم وكان مع صفاء عقلهِ يفعل افعال المجانين فيتهدَّد الواحد ويلكمُ الآخر وهو يصرخ وجعهِ: «قد حرقتني النار» وكانت اسافل شلوهِ واحشاؤُهُ في غليان حتى انَّ احد اطبائهِ قال: «ما كنَّا نستطيع ان نمسَّ بطنهُ دون ان نشعر بلهيب محرق يضطرُّنا الى رفع يدنا. ولو قرَّبوا من مراق بطنهِ ثقابًا من الكبريت لاشتعل لا محالة». وكان ڤولتار قد سخر بنبوَّة حزقيال واستهزأ بما فعلهُ هذا النبيُّ لمَّا امتثل امرهُ تعالى فأكل خبز مِلَّةٍ في سماد اشارةً الى ما كان ينتظر اورشليم من البلاء والشدائد. ففي مرضهِ كثيرًا ما كان ڤولتار يمدّ يدهُ الى قارورة بولهِ فيغمس فيها كفَّهُ ثمَّ يمسح وجههُ وكان يتمرَّغ في فراشهِ في اوساخهِ فيلحس بلسانهِ عذرتهُ او يلطخ ببرازهِ يديهِ فيجعلهما في فيهِ. فرأتهُ ابنة طبَّاخهِ مادام دِني يفعل هذا غير مرَّة فصرخت «ويلاه أما هذا هو السيّد ڤولتار انظف الناس الذي كان يبدل ثيابهُ ثلاث مرَّات في النهار انفًا من كل وسخ. يا لهُ من انقلاب يا لهُ من عار». ولمَّا عاد اليهِ الكاهن غوتيار ليستميل قلبهُ ويذكّرهُ برحمة ربّهِ دفعهُ بسخريَّة ونظر اليهِ نظرة ارتعدت لها فرائصهُ فرجع الى دارهِ خائبًا. وقبل موتهِ بساعة تقرَّب منهُ الطبيب ليعرف حالهُ فكشف عن وجههِ وهو يظنُّهُ قد مات ففتح عينيهِ محملقًا كأنهُ الشيطان المريد وصرخ «دعوني اموت» فكل من رآهُ حينئذٍ انقطع قلبهُ هلعًا وخرجت مادام دِني فقالت لمن لقيتهُ انَّ «ڤولتار مات كالكلب». وقال غيره من الحضور: «بل مات موت الهالكين». فكذا صحَّ بهِ قول الرب: «تطلبونني فلا تجدونني وتموتون في خطيئتكم وانا اسخر بعطبكم لانَّ الله لا يُستهزأ به»

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

﴿ سؤال في التثليث ﴾ ارونا بعض مكاتبينا على سؤال في التثليث عرضهُ على المسيحيين المسمَّى «س ن. ان» في المنار الاسلاميَّة (٢٢٥٦) وهذا نصهُ بالحرف:

سؤال للمسيحيّين ارجو ... إجابتهم عليهِ مع اليقينِ
هل التثليث في المولى قديمٌ ... أم الاقنوم أُحدِثَ بعد حينِ
وليس على الحدوث يقرّ قومٌ ... وعن قدم القديم تجاوبوني
أموسى كان يجهل ام نبيٌّ ... اتى ام غيَّروا اركان دينِ
وليس بجهلهِ احدٌ مقرًّا ... ولا بالأَبنِ يُرمى والمجونِ

فقولوا قومهُ نقصوا وزادوا بذلك صحَّ قرآن الامينِ
واماَّ كون موسى قد دعاهم على قدر العقول فاعلموني
وانَّ الحقَّ يطلب كلَّ ظنٍّ دعوا تثليثكم او جاوبوني

ثم شرح المعترض للسؤال سؤالهُ بكلام طويل اختصره في آخره بقوله: «والنتيجة انَّ التثليث ليس بحادث ولا قديم وكلّ ما كان كذلك فهو باطل فالتثليث باطل لأنهُ لو كان حادثاً للزم التغيُّر في ذات الله وهو باطل فالتثليث ليس بحادث ولو كان قديماً لقال بهِ موسى عليهِ السلام والانبياء ولكنهم لم يقولوا فهو ليس بقديم ولا يعقل انَّ موسى عليهِ السلام كان جاهلاً او كاذباً او مورباً في اصل الدعوة. والمعقول انهُ لم يكن تثليث فثبت ما تقدَّم من نفيهِ»

جواب المشرق

نجيب على المعترض أننا نعتقد انَّ التثليث قديم كالتوحيد اذ ليس في الله شيء حديث. امَّا علم موسى النبيّ وبقيَّة الانبياء بسرّ التثليث او جهلهم لهُ فلا يمسُّ مطلقاً هذا السرّ ولا يفيدنا شيئاً لإثبات صحَّتهِ او بيان كذبهِ. فان الله يوحي الى انبيائهِ ما يشاء وكيف يشاء. فامكنهُ ان يكتم عنهم سرّ التثليث دون ان يغضَّ من قدرهم بشيء. كما أنهُ تعالى امكنهُ ان يوحي بهِ اليهم لمعرفتهم الخاصَّة دون ان يوعز اليهم بتبليغهِ الى بني اسرائيل اذ لم يكن الاسرائيليون وقتئذٍ يطيقون وحياً كهذا كما قال السيّد المسيح لتلاميذهِ قبل حلول الروح القدس عليهم (يو ١٦: ١٢): «انَّ عندي كثيراً اقولهُ لكم ولكنكم لا تطيقون حملهُ». على ان الله وان لم يكن اوحى جهاراً قبل المسيح بسرّ التثليث قد بذر بذوره في اسفار العهد القديم ريثما يأتي الوقت المعيَّن لنموّها وازدهارها. فانَّ في الاسفار المقدَّسة عدَّة دلائل واشارات وتلميحات الى ذلك السرّ كقول موسى في اوَّل سفر التكوين: «في البدء خلق (بالمفرد) الله (وبالعبرانيَّة الوهيم على لفظ الجمع) السماء والارض» وكذكرهِ هناك «روح الله» مرفّاً فوق المياه. وكذلك اشارة في رؤيا الرب الى ابراهيم حيث ظهر لهُ على صورة ثلثة رجال (تك ١٨: ١-١٨) فخاطبهم بلفظ المفرد واعتبر الثلثة كربٍّ واحد وسجد لهم سجودهُ للربّ الصمد الفرد. وفي التوراة ولاسيما سفر المزامير والحكمة والنبوءات آيات عديدة تثبت لاهوت المسيح وقد استشهد بها الرب انجيله والحواريون من بعدهِ في رسائلهم لهذه الغاية. وبهذا ترى انَّ اعتراض المعترض واهن واهٍ لا اصل لهُ ل. ش